الدولة الإسلامية

تأليف

أبو بكر جابر الجزائري

الواعظ بالمسجد النبوي الشريف والمدرس
بالجامعة الاسلاميـة بالمدينة المنورة .

المكتب الإسلامي

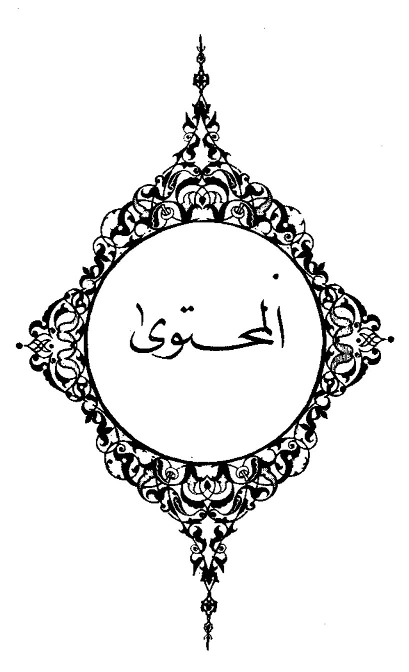
الطبعة الثانية

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص . ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقيًا : اسلاميًا

دمشق : ص . ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقيًا : اسلامي



الصفحة



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستهديه ونستغفره ونسترشده ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ... أما بعد :

فإن غياب الدولة الإسلامية عن الوجود ، وانحسارها هذا الانحسار المريع ، كان سببًا رئيسيًا في خسران المسلمين وانحطاطهم ، كما كان سببًا في خسران العالم كله لهذا الأنموذج الرباني للدولة المسلمة على هذه الأرض ، وليس هذا الغياب والانحسار إلا لتكتل قوى الشر في الأرض وتجمعهم ، للقضاء على هذه الدولة ، لأن وجودها يهدد كيانهم ؛ ويحد من أهوائهم وشهواتهم ، إن الدولة الإسلامية لن تترك هؤلاء يعيثون في الأرض الفساد ، وما خبر السلطان عبد الحميد عنا ببعيد حين رفض أن يتنازل عن فلسطين مقابل الملايين من الليرات الذهبية

التي سيدفعونها ثمنًا لهذا التنازل ، فقـال لهم – رحمه الله وطيب ثراه – : إن فلسطين ليست ملكي ، بل هي أرض شعبي وأمتي ، رووها بدمائهم ، ولا يمكن – بحـال – تلبيـة هذا المطلب ، ولأن يتقطع جسدي إربًا إربًا أحبُّ إليَّ من أن أبيع شبرًا من أرض أمتي فهددوه بالإطاحة به وبعرشه ، فما زاده ذلك إلا حرصًا على أرض أمته وشعبه ، وهذا على الرغم مما كانت عليه الدولة العثمانية في تلك الآونة من فساد وانحلال ، والذي كان سببه سيطرة الاتحاديين الماسونيين على زمام الأمور منذ عام ١٩٠٩ – ١٩١٨ وورَّثوا مصطفى كمال نظامهم التلمودي الماسوني الصهيوني ، وقد رُدَّ إلى السلطان عبد الحميد اعتباره الآن بعد أكثر من ستين عامًا ، كان فيها في نظر المؤرخين مستبدًا وسلطانًا أحمر مـع أنه كان من أشرف الشهداء الذين ضحوا بأنفسهم وملكهم في سبيل دفع جائحة الصهيونية العالمية عن السيطرة على فلسطين ، ومذكرات هرتزل تثبت ذلك ، وتكشف مدى الدور الذي ظل خافيا عن العرب والمسلمين سنوات طويلة. والدولة الإسلامية هي الأمل الذي ينشده كل مسلم في مشارق الأرض ومغاربها ، فالنفوس تتشوق إليها ، والأعناق تشرئب لرؤيتها حقيقة واقعة في هذه الأرض. وفي اعتقادنا : إنه لا خـلاص للبشرية من هذه الأوهاق التي تشدها الى الأرض ، وتعيقها عن السير الصحيح في

طريق الأمن والسعادة والسلام إلا إذا وجدت هذه الدولة ، وأصبحت حقيقة مرئية لكل ذي عينين .

والامة المسلمة - في كل مكان - مدعوة اليوم إلى العودة لدينها والعمل بكتابها وسنة نبيها ﷺ ، والعمل الجاد لإقامة هذه الدولة وإعلاء كلمة الله في الأرض كلها ، ولا يمكن أن تتخلص مما هي فيه من الذل والتبعية إلا إذا تمسكت بدينها ووقفت على الجادة ، وهي تحكِّم الإسلام في كل صغيرة وكبيرة من أمورها ، وتدعو إلى هذا الدين الأمم كلها حتى يتحقق قول الله عز وجل : «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» .

وهذا كتاب «الدولة الإسلامية» بين يديك أخي القارىء نقدمه إليك في هذه الفترة الحرجة والحاسمة التي تمر بها أمتنا ، عسى أن يساهم في تجلية حقيقة هذه الدولة ، وما حققته لرعاياها من سعادة ورفاه ، فيكون هذا مدعاة للعمل الجاد والمخلص لإقامة صرح هذه الدولة وإشادة بنيانها ، وما ذلك على الله بعزيز ، فقد قال في كتابه : (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون . وإن جندنا لهم الغالبون) وقال : (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسًا لهم وأضل أعمالهم) وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

زهير الشاويش

بسم الله الرحمن الرحيم

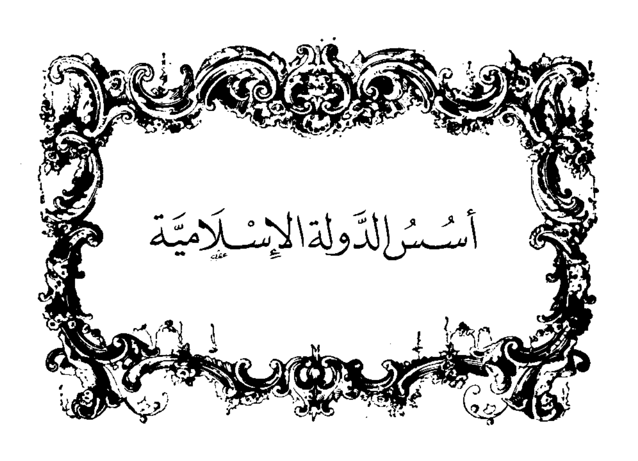
الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام
على خاتم الأنبيـاء والمرسلين ، النبي
الأمي محمد وآلـه وصحبـه أجمعين .

التعريف

وبعـــد فالدولة الاسلامية رسالة من رسائل الدعوة ، ترسم الصورة الصادقة لما تكون عليه الدولة الاسلامية في عصر الحضارة والتقدم العلمي الذي غيَّر كثيرا من معالم الحياة ، وبدّل جوانب كبيرة من مظاهر التفكير البشري .

وتعطي العالم الانساني نموذجا للحياة السعيدة الفاضلة التي جاء الاسلام بتحقيقها للناس أجمعين ، متى آمنوا به دينًا ، وعملوا به منهجًا ، وحكموا به قانونًا ، وتقيدوا به نظامًا .

ونهيب بكل محبي السعادة البشرية ، والعاملين على تحقيقها لبني الإنسان أن يجعلوا الدولة الاسلامية – التي هي الآن فكرة تحملها هذه الرسالة الصغيرة – حقيقة واقعة يعيش عليها الناس ، وتسعد بها البشرية جمعاء ، وذلك من طريق الإيمان والجهاد .


أُسُسُ الدَّولةِ الإسْلاميَّة



إن الأسس التي تقوم عليها الدولة الاسلامية هي :

١ – الإيمان .

٢ – الأمة .

٣ – مادة الحكم .

٤ – الحاكم .

٥ – الحكومة .

هذه خمسة أسس عليها يقوم بناء الدولة الإسلامية ، تلك الدولة التي تكفل – بإذن الله تعالى – سعادة الفرد والمجتمع ، والتي هي الأمل الذي تتطلع إليه البشرية في كل أنحاء العالم الإنساني ، والأمنية الغالية لكل العقلاء في الأرض ، والحاجة الملحة لكل البشر في هذا الوجود .

والأمل معقود في الشبيبة الإسلامية الناهضة أن تقوم بمهامٍ إيجاد هذه الدولة المأمولة المرتقبة ، والتي إن وجدت حققت – بإذن ربها – للعالمين : الإسلامي والإنساني كل خير وسعادة .

الأساس الأول

الإيمان

تعريف

* الإيمان روح يسري في الأجسام الميتة ، فتحيا بإذن الله .
* والإيمان طاقة هائلة إذا تفجرت دكت كل ما حولها من صخور الجمود ، وحصون الأوهام والمخاوف ، وقضت على جيوش الشر والباطل .
* والإيمان نور من الله تعالى متى يشع في قلب امرىء ، أضاء لصاحبه كل الآفاق في الكون والحياة .
* والإيمان خصيصة بشرية تتغير بها المفاهيم ، وتتبدل بها الغرائز ، وتجعل من الإنسان الضعيف قوة يتمكن بها من القهر والاستعلاء على كل ما حوله من مخلوقات هذا الوجود الأرضي .
* والإيمان رحمة إلٰهية يُدخل الله فيها من يشاء من عباده ، فمن أدخله فيها ، فقد تأهل لكل سعادة بشرية ، وتهيأ للوصول إلى أرقى ما يمكن أن يصله الإنسان من الكمال البشري في هذه الحياة .

عناصر الإيمان :

ومبنى الإيمان هذه العناصر الستة :

١ – الإيمان بالله سبحانه وتعالى .

٢ – الإيمان بلقاء الله سبحانه وتعالى .

٣ – الإيمان بكتاب الله عز وجل .

٤ – الإيمان برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم

٥ – الإيمان بالمثل العليا في الحياة .

٦ – الإيمان بأقضية الله ومجاري أقداره .

هذه هي العناصر التي يقوم عليها الإيمان الذي هو أحد أسس الدولة الإسلامية الخمسة التي تنبني عليها ، فتحقق للبشرية السعادة التي تحلم بها ، وتطلبها ، وتتطلع إليها منذ زمن طويل . ولن تجدها إلا في ظل هذه الدولة التي يجب ان توجد ، لأنها ضرورة من ضرورات الحياة البشرية في هذا الوجود .

أ – الإيمان بالله تعالى :

ما كان لدولة تقوم على أساس الإلحاد ونكران الحق ، والكفر بالله عز وجل وكتابه ورسوله ، ولقاء الله تعالى ، ما كان لها أن تحقق خيرًا أبدًا ، ولا ينبغي أن يطلب منها ذلك ، أو ترجى فيه ، لأن عنصر كل خير ، وهو الإيمان بالله سبحانه

وتعالى ، وما يستتبعه من الإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقضاء والقدر – هو أساس قيام الدولة الاسلامية ، ومعناه – الإيمان : أن كل فرد من أفراد الأمة والحكومة يؤمن بوجود الله تبارك وتعالى ، وأنه فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، العزيز الحكيم . رب كل شيء ومليكه لا إله الا هو ، ولا رب سواه .

كان ولم يكن شيء قبله ، وكتب في الذكر ما كان ، وما هو كائن إلى يوم القيامة .

خلق الملائكة ، وهم من أعظم وأجل مخلوقاته ، وأطهرهم وأصفاهم ، خلقهم من نور ، وطبعهم على الخير ، فهم عباده المكرمون ، لا يعصونه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

وخلق الجان من مارج من نار ، وطبع منهم إبليس وذريته على الشر ، فهم غواة شريرون خبثاء ، يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، وما يرى في الناس من مظاهر الشر والفساد ، هو من عمل إبليس وذريته ، بدعوتهم إليه ، وتحريضهم عليه ، وجعل باقي الجن قابلين للهداية والغواية ، فمنهم الصالحون ، ومنهم دون ذلك .

وخلق الإنسان من طين ، فسواه ونفخ فيه من روحه ، وجعل نسله من سلالة من ماء مهين ، فصور في الأرحام فأحسن التصوير . وجعل السمع والبصر والفؤاد ، ليذكر ويشكر .

وجعل كلاً من الجن والإنس قابلاً للشكر والكفر ، وللكمال والنقص ، فأنزل إليهم الكتب ، وبعث فيهم الرسل توضيحا للمحجة ، وإقامة للحجة ، فمن أخذ بهداية الله من إنس وجان نجا من الخسران ، وفاز بالجنان ، ومن لم يأخذ بها هلك ، وباء بالخسران ، وحرم نعيم الجنان .

وجعل أهل طاعته بذكره وشكره هم أهل محبته ورحمته . وجعل أهل معصيته بنسيانه وكفره هم أهل بغضته وعذابه .

وخلق الحيوان لحكم كثيرة هو يعلمها ، وأسرار عجيبة أطلع من شاء عليها . وانزل لعباده من الأنعام ثمانية أزواج فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع كثيرة ومشارب لذيذة ، وخلق الخيل والبغال والحمير للركوب والزينة ، ويخلق ما يشاء ، وهو العليم القدير .

ولازم هذا المعتقدَ أمور هي :

١ – أن لا يدين في الامة أحد الا لله ، إذ لا إله إلا الله ، ولا رب سواه ، وعليه فلا آمر ولا ناهي ، ولا شارع ، و مطاع على الحقيقة إلا الله .

٢ – الاعتراف التام بنظام القدر ، وأن كل شيء كان به ، وجرى بحسبه ، فلا يجوز لأحد في الأمة أن يسخط قضاء الله ، أو يبدي عدم رضىً بأي حكم من أحكام الله تعالى .

٣ – الإيمان الكامل بعالم الملائكة ، و بما وصفهم الله تعالى به ، و بما أخبر به عنهم من طاعتهم وطهارتهم وقربهم .

٤ – التصديق بوجود الجن وأعمالهم وأحوالهم ، وأن منهم شياطين لا خير فيهم هم سبب إغواء الإنسان وإفساده ، وأن منهم خلقاً آخر ذا قابلية للطاعة والمعصية . قد كلف بطاعة الله وطاعة رسوله ، فمن أطاع فقد تحرى رشداً ، ومن عصى فقد كان لجهنم حطبا .

٥ – وجوب تكريم الانسان ، واحترام آدميته ، والمحافظة على سلامة فطرته وعنصر الخير فيه .

٦ – تحقق كمال الانسان بهداية الله تعالى التي هي شرائعه ، واحكامه وكون سعادته بها ، ونقصه وخسرانه بعدم أخذه بها . ومجانبته لها .

٧ – تقرير رحمة الحيوان ، وتعيين رعايته ، ولزوم حمايته ليبقى صالحا للانتفاع به ، والاستفادة منه .

ب – الإيمان بلقاء الله سبحانه وتعالى :

كل فرد في الدولة الإسلامية ملتزم بمبدأ الإيمان بالحياة بعد الموت والبعث بعد الفناء ، والحشر للحساب والجزاء . وهذا معنى الإيمان بلقاء الله سبحانه وتعالى ، وبيوم القيامة

واليوم الآخر ، وما يستتبع ذلك من أحوال أهل الموقف وأهواله ، ومن نعيم أهل النعيم في الجنة دار الأبرار ، ومن شقاء أهل الشقاء في النار دار الفجار .

ويُعد هذا المعتقد في أهمية المعتقد الأول بالنسبة لكل فرد من أفراد الأمة والدولة ، اذ عليه مدار توجيه الإنسان وإصلاحه ، فهو بمثابة الطاقة المحركة نحو الخير والاستقامة ، والتي بدونها لا يتم إصلاح الفرد ولا توجيهه بحال من الأحوال .

ومن هنا كان الإيمان بالبعث والجزاء ضرورة من ضرورات الحياة الفاضلة ، فلا استغناء عنه ، ولا بديل أبدًا ، وذلك لتعذر تقويم السلوك وتهذيب الأخلاق لدى المواطنين بدونه .

وعظمة الدولة وعز جانبها وقوة سلطانها ، إنما هي مستمدة من صحة أفرادها وسلامتهم .

والفرد إذا لم يكن مؤمنا بعلم الله – تعالى – بأفعاله ، وقدرته على مجازاته بها : خيرها وشرها ، حسنها وسيئها ، وبأن ذلك كائن لا محالة يوم يلقى ربه – عز وجل – في الحياة الثانية بعد نهاية هذه الحياة الأولى ، فإنه – الفرد – يتعذر إلى حد الاستحالة تهذيبه وإصلاحه .

ومتى بقي الفرد غير مهذب ولا صالح ، فإن وجوده خطر على الهيئة الاجتماعية ، وضرر أي ضرر ، ومن الحزم إصلاحه أو إقصاؤه ؛ وإصلاحه بدون عقيدة البعث والجزاء منتف قطعًا .

ولم يبق إلا الإقصاء ممكنًا ، فَلْيُقْصَ من الدولة الاسلامية كلُّ فرد لا يؤمن بالله تعالى ولقائه حفاظًا على سلامة الدولة والهيئة الاجتماعية وأمنها .

ولازم هذا المعتقد أمور هي :

١ – إيثار الدار الآخرة على الدنيا ، والتطلع إلى ما أعد الله تعالى لأوليائه فيها ، وهذا من شأنه أن يبعث على الإكثار من الصالحات ، والتنافس في الخيرات ، والمسابقة اليهما ، وهذا عنوان المجتمع الصالح السعيد .

٢ – قلة الرغبة في الحياة الدنيا ، وهذا منبع أكثر الفضائل كالشجاعة والكرم والإيثار والحلم والتواضع والصدق والوفاء .

٣ – الإحسان في الأعمال بإتقانها وتجويدها ، وطلب معالي الأمور ومحاسنها وترك نقائصها وسفسافها .

٤ – الإئتلاف ، وحب الجماعة ، والتعاون على البر والتقوى .

جـ – الإيمان بكتاب الله عزوجل :

إن القرآن الكريم الذي هو كتاب الله صدقًا وحقًا ، أنزله الله وحيًا على رسوله محمد ﷺ . هذا الكتاب الذي هو من

أعظم الأدلة ، وأقوى البراهين على وجود الله تعالى وعلمه وقدرته ، وكماله المطلق – يؤمن به كل مواطن في الدولة الإسلامية ، وأنه حقا كتاب الله ووحيه ، أنزله على رسوله محمد ﷺ ، وأوحاه إليه ، فنسخ به الكتب السابقة ، وضمنه شرائعه وهدايته ، فهو مصدر التشريع الأول ، ومنبع الهداية الكاملة ، فلا يقدم عليه شرع ، ولا يعدل به سواه .

فما أحل من شيء فهو الحلال ، وما حرم فهو الحرام . أخباره كلها صدق ، يجب قبولها واعتمادها ، ولو أنكرها الناس أجمعون . وأحكامه كلها عدل يجب تنفيذها ، والرضى بها ، والتسليم لها ، ولو خالفها الناس أجمعون . يدعى المواطنون إلى حفظه ودراسته وتعلُّمه وتعليمه ، ويُشجَّعون على ذلك بإكرام أهله الذين هم أهل الله وخاصته ، واحترامهم ، وتبجيلهم ، وتقديمهم على غيرهم في المناصب والرتب ، وخاصة من كان منهم فقيها عالما بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولازم هذا المعتقدَ أمور هي :

١ – تقرير شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله . إذ كتاب الله دالٌّ على وجوده وعلمه وقدرته وكماله ، ونزوله على محمد ﷺ دالٌّ على نبوته ورسالته .

٢ – التصديق بكل ما أنزل الله على رسله من كتب ، وما أوحى

إليهم من شرائع ، إذ الإيمان بكتاب الله مستلزم الإيمان بكل كتاب أنزله الله تعالى .

٣ – كون القرآن ناسخًا لما سبقه من الكتب – كما هو الحق والواقع – مستلزم لعدم الالتفات إلى تلك الكتب ، ولعدم الأخذ منها والاعتماد عليها في شيء من الشرع ، إذ ما بقي فيها من وحي الله تعالى قد بطل مفعوله بنسخه بآخر الكتب ، وهو القرآن الكريم ، وما لم يكن وحيا مما وضعه علماء أهل الكتاب من الترهات والأباطيل ، فإنكاره وعدم الاعتراف به واجب فضلا عن قبوله والأخذ به في عقيدة أو شرع .

٤ – كفر من حكم بغير القرآن ، أو حرَّف شرائعه أو بدَّلها ، أو رفض بعض أحكامه ، ولم يقبلها .

٥ – تقرير مبدإ أن القرآن الكريم هو مصدر التشريع الإسلامي الأول ، وتليه سنة الرسول ﷺ الصحيحة ، ثم الإجماع المعتبر ، والقياس الصحيح .

د – الإيمان برسول الله محمد ﷺ :

يؤمن كل فرد من أفراد الدولة الإسلامية بنبوة محمد العربي ورسالته ﷺ ، وأنه خاتم النبيين ، فلا نبي يأتي بعده ولا رسول ، وأن رسالته عامة لكافة الناس وفي كل أنحاء

العالم ، وأن البشر كلهم أبيضهم وأسودهم مطالبون تكليفا إلهيًا بالإيمان به ، وباتباعه في كل ما جاء به من الدين والهدى والشرع ، وأن الدين الذي جاء به – وهو الإسلام قطعًا – هو منهج الحياة الإنسانية الكامل الذي يكفل لها أفرادا وجماعات ، أمما وشعوبا سعادة الحياتين الدنيا والآخرة ، إن هي آمنت به ، وسارت عليه في ظروفها وسائر حياتها .

ولازم هذا المعتقدَ أمور هي :

١ – الإيمان بسائر الأنبياء والمرسلين الذين سبقوا في التاريخ وتقدموا كنوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى بن مريم صلى الله عليهم وسلم أجمعين ، إذ الإيمان برسول واحد من رسل الله تعالى مستلزم عقلا وشرعا للإيمان بكل الأنبياء والمرسلين ، لأن لا معنى للإيمان ببعض والكفر ببعض إلا اتباع الهوى ، والتعصب الأعمى ، والعياذ بالله تعالى من ذلك .

٢ – عدم الاعتراف بأية دعوة إلى نبوة بعد محمد ﷺ ، ومهما كانت ، ومن أي مصدر أتت وأية جهة جاءت ، لإخبار الله تعالى بختم النبوات بالنبوة المحمدية .

٣ – وجوب ترك العمل بأية ملة أو نحلة من هذه الديانات الباطلة التي أصر عليها المنتسبون إليها ، وبقوا متشبثين

بها كاليهودية والنصرانية وغيرهما ، وذلك لنسخ كل الديانات السابقة والشرائع المتقدمة بدين الإسلام ، والمنسوخ يبطل العمل به عقلا وشرعا .

٤ – لزوم اتباع الرسول ﷺ ، وطاعته في امره ونهيه ، وتصديقه في كل ما أخبر به ، وجاء به من الشرع والغيب .

٥ – فرضية توقيره – ﷺ – وتعظيمه ومحبته محبة فوق النفس والأهل والمال .

ﻫ – الإيمان بالمثل العليا في الحياة :

يؤمن المواطن في الدولة الاسلامية بالحسنى ، ويصدق بالخير . ويعترف بسامي الأخلاق ومعالي الأمور كالصدق في الحديث ، والوفاء بالعهد ، وإنجاز الوعد ، وحفظ الأمانة ، وخلق الحياء ، وحب الخير ، والرأفة بالخلق ورحمتهم ، ونصرة المظلوم ، ومساعدة المحتاج ، وإغاثة اللهفان ، وتأمين الخائف والإنصاف من النفس ، وأداء حق الجار ، وصلة الرحم ، وبر الوالدين ، وتوقير الكبار ، ورحمة الصغار ، وإجلال أهل الفضل ، واحترام أهل السبق في الخير .

ويترجم هذا الاعتراف وذلك الإيمان بقوله وعمله ، فلا يُرى بين الناس إلا متحليًا بتلك الصفات قائمًا بتلك الكمالات .

كما ينكر المواطن في الدولة الإسلامية أضداد ذلك من

الكذب ، وإخلاف الوعود ، وإضاعة الأمانة ، والبذاء ، والفحش في القول والعمل ، والقسوة ، والجفاء ، وقطع الرحم ، وأذية الجيران ، وإنكار المعروف ، وإهمال الحقوق ، وحب الذات والأنانية ، وإهانة الكبار ، واحتقار الصغار ، وما إلى ذلك من ذميم الصفات ، وقبيح الأقوال ، وسيء الأفعال .

ولازم هذا الإيمان والاعتراف هو :

كمال الخلق ، وسمو الروح ، وشرف النفس ، وقوة الشخصية .

وهذه هي الصفات الأساسيه لتكوين الشخصية المثالية ، وإبراز الصورة الحقة للإنسان الصالح الذي يستحق خلافة الله في الأرض ووراثتها[1] ، وبالتالي إنقاذ البشرية من الشقاء والخسران ، وقيادتها إلى شاطىء السعادة والسلام .

و – الإيمان بأقضية الله تعالى ومجاري أقداره :

يؤمن المواطن في الدولة الإسلامية بمبدإ القضاء والقدر ، ويعترف بنظام السنن والأسباب في الكون كله ، فهو موقن بأن

---

١) إشارة إلى قوله تعالى : (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) [الأنبياء : ١٠٥] .

كل ما كان أو سيكون من أحداث في العالم كله علويه وسفليه ، إنما كان بعلم الله تعالى وتقديره له ، ولم يخرج شيء من كليات الحوادث ولا جزئياتها عن ذلك العلم والتقدير ، وبيان ذلك أن الرب تبارك وتعالى قبل أن يخلق العالم كتب في كتاب «هو كتاب المقادير» كل ما أراد خلقه من سائر الكائنات في العوالم كلها ، وقدر لكل حادثة أو مخلوق ذاته ، وحدد صفاته ، وزمانه ومكانه ، بحيث لا يقع شيء من أحداث العالم إلا وفق ما كتب الله تعالى في ذلك الكتاب من حيث ذات الشيء وصفته وزمانه ومكانه وأسبابه التي يتم خلقه وإيجاده بها ؛ وهذا أمر ظاهر في صفحة الكون ، يقره كل ذي عقل ، ويراه كل ذي بصيرة .

إن أحداث الكون كلها جارية وفق نظام القدر العجيب فلا حياة ، ولا موت ، ولا صحة ، ولا مرض ، ولا غنى ، ولا فقر ، ولا عز ، ولا ذل ، ولا كمال ، ولا نقص ، ولا سعادة ، ولا شقاء يقع أو يتم خارج نظام القدر الذي ربط الله تعالى به الأكوان كلها ، وجعلها لا تخرج عنه بحال من الأحوال .

ونتيجة هذا المعتقد الإيجابية ، والتي لا تتحقق الا به هي : أن صاحب هذا المعتقد لا يحزن على شيء فاته من متاع هذه الحياة الدنيا لعلمه واعتقاده أن ما فاته ، لم يكن قد قدر له أزلا ، ولذا لا يمكنه أن يدركه بحال من الأحوال ، فتسلم نفسه من

الحزن الممزق ، والهم القاتل ، والكرب المضني مما يصيب لا محالة الذين لا يؤمنون بهذا المبدإ السامي الكريم ، كما لا يفرح بما أوتيه من من متاع الحياة الدنيا الفرح الذي يفقده توازنه ، فيسرف ويظلم . ويحتال ويتكبر ، فيصبح شرًا ووبالاً على بني جنسه من الناس ، وذلك لأن صاحب هذا المعتقد يعلم أن ما أوتيه إنما بعطاء الله تعالى وتقديره له ، ولم يكن بقدرته الخاصة ولا تدبيره الفردي ، فالله – تعالى – هو الذي قدره له ، وهداه لطلب أسبابه ، وأقدره على تحضيرها ، وصرف الموانع عنه حتى كانت النتيجة التي كانت ، فلا يعقل – إذًا – أن يكفر نعمة الله عليه ، فيصرفها ضده ، وفي غير ما يرضيه من الطغيان على الناس والبغي والتكبر عليهم ، كما هي حال الكافرين بمبدأ القضاء والقدر من سائر الناس ، وكل الأجناس .

وكما يؤمن المواطن في الدولة الاسلامية بالقضاء والقدر ، ويعترف بنظام السنن والأسباب ، وتفسير ذلك : أن كل حدث يتم في الكون إنما يتم بسبب خاص له قد قدره الله له ، وربط وجوده به ، فلا تكون سعادة ولا شقاء ، ولا تقع حياة ولا موت ، ولا صحة ولا سقم ، ولا غنى ولا فقر ، ولا عافية ولا بلاء إلا بأسبابها الخاصة التي قدرت معها ، وأنيط أمر وجودها بها .

ومن هنا يرى المؤمن نفسه ملزمًا بمعرفة أسباب كل ما أراد

الوصول اليه ، والحصول عليه من خير الدنيا والآخرة وكرامتها ، وبمعرفة أسباب كل شر يخافه وشقاء يخشاه في الدنيا والآخرة ، فيتعلم تلك الأسباب ، ويحذقها ، ثم يعد أسباب الخير والسعادة ليحصل عليهما ويتجنب أسباب الشر والشقاء لينجو منهما ، كل هذا يفعله ايمانًا منه أن الرب تبارك وتعالى لما قدر الأشياء قدر معها أسبابها فهي لا توجد الا بها .

ولازم هذا المعتقدَ أمور هي :

١ – عدم أسىٰ المؤمن وحزنه على ما قد يفوته من متاع هذه الحياة الدنيا .

٢ – عدم الفرح بما في يد المؤمن من حطام الدنيا ، فلا يسرف ولا يظلم ، ولا يطغى ويتكبر ، فيكون شرًّا على الهيئة الاجتماعية .

٣ – وجود باعث للشكر في نفس المؤمن يحمله على شكر النعم بصرفها فيما ينفع ولا يضر ، وفيما يرضي المنعم سبحانه وتعالى ولا يسخطه .

٤ – وجود باعث للصبر في نفس المؤمن يساعده على تحمل كل مكروه يصيبه في الحياة .

٥ – وجوب معرفة الأسباب والسنن الإلهية في الكون لتعد أسباب كل نافع ، وتحصر للحصول عليه ، ولتجنب أسباب كل ضار للخلاصة منه والنجاة .

الأساس الثاني

الأُمّة

تعريف

لفظ الأمة يطلق على كل مجموعة من المخلوقات ، وحد بينها الجنس أو النوع أو الخاصة .

وعليه : فلفظ الأمة : جنس عام يحوي العديد من الأفراد أو الأجناس المتميزين بالنوعية .

مقومات الأمة في الدولة الإسلامية :

للأمة التي هي أحد أسس الدولة الاسلامية مقومات يبنى عليها وجودها وهي :

١ – العلم ٢ – والإيمان ٣ – والخلق ٤ – والحرية ٥ – والكرامة

فهذه خمسة عناصر فعالة قوية منها يتكون وجود الأمة ، وكل أمة لا يقوم وجودها على هذه العناصر ، فهي أمة غير موجودة حقيقة ، وإن وجدت فهي لا تستحق الوجود فضلا عن الاحترام والتقدير ، والقيادة ، والسيادة .

الفرد أصل الأمة :

الأمة لا تتكون إلا من أفراد ، ومن شرط الأفراد الذين

تتكون منهم الأمة أن يكونوا أحياء بروح الإيمان غير أموات بداء الكفر ، علماء بخالق الكون ، وسننه فيه ، غير جهال بذلك ، ولا متجاهلين ، ولذا كان المفروض في كل فرد من أفراد الأمة أن يكون عالما ، مؤمنا ، ذا أخلاق فاضلة ، حرَّ الفكر والإرادة ، ذا كرامة موفورة .

شرح تلك العناصر :

١ – **العلم :** والمراد منه معرفة الرب تبارك وتعالى بواسطة آيات كتابه القرآنية ، وآيات خلقه الكونية . ومن طريق آلائه على عباده ونعمه عليهم .

ومعرفة الطريق الموصل اليه تعالى بواسطة الكتاب والسنة .

وهو ايضًا – العلم – معرفة الرسول ﷺ بواسطة الكتاب الذي جاء به ونزل عليه ، ومعجزاته التي تحدت العقول فبهرتها ، وتعالت على النفوس فقهرتها ، فآمن به وبرسالته رجال كانوا أبر الناس قلوباً ، وأرجحهم عقولاً ، وأصفاهم أرواحًا ، وأزكاهم نفوسًا ، وهم أرحم الناس اذا ظهروا ، وأعدلهم إذا حكموا ، فكان ذلك من آيات صدق نبيهم وصحة نبوته وعظمة رسالته .

وهو – العلم – معرفة القرآن كتاب الله تعالى بواسطة معرفة لغته التي نزل بها ، وسيرة الرسول ﷺ التى مثله فيها ، وطبقه

عليها بصورة لا أتم منها ولا أكمل أبدا .

٢ – **الإيمان :** وقد تقدمت عناصره التي هي الإيمان بالله تعالى وبما جاء به رسوله محمد ﷺ ، وأخبر به عنه من شأن الشرع والغيب ، والقضاء والقدر ، والآخرة والنعيم والشقاء فيهـا .

فإن المراد منه هنا : أن يكون الفرد في قوة إيمانه بحيث يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن لا يكون له خيرة في حكـم الله ورسوله به ، ولا في قضـاء قضى به الله ورسوله ، مهما كـان شاقًا على النفس ثقيلاً على الطبع ، وأن يكون هواه تابعا لما جاء به رسول الله ﷺ ، لا يرى غيره ، ولا يلتفت إلى سواه .

ويحصـل هذا للفرد بالصدق في الإيمان واليقين فيه ، ومن مظاهر الصدق في الإيمان والرهبة من الله والرغبة فيما عنده والإيمان بوعد الله تعالى لأوليائه وبوعيده لأعدائه ، اذ لا إيمان لمن لا يرجو الله ولا يخافه ولا يقين لمن لا يترك معصية الله خوفًا من الله ، ولا يقبل على طاعة الله راجيًا حسن مثوبة الله .

ومن هنا كان الفرد في الدولة الإسلامية يعيش على الصدق واليقين في نفسه ، فحبه وبغضه ، وإعطاؤه ، ومنعـه ، وحياته ومماته كلها لله تعالى ومن أجله ، فهو يعبد ويتوكل ،

ويعمل ويُحسن ، ومـا كل ذلك إلا رهبة من الله ورغبة فيما لديه .

٣ – **الخلق الفاضل :** وهو يتجلى في الإنصاف من النفس ، والإحسان في القول والعمل ، والعدل في القول والحكم ، وفي حسن المعاملة ، والوفاء وصدق الحديث ، والشجاعة والكرم ، والإيثار والحلم ، والحياء والصبر والتحمـل ، وفي توقير الكبير ، ورحمة الصغير ، وفي العفة والنزاهة والشرف .

هذه مظاهر الخلق الفاضل ، والذي هو وصف لازم لأفراد الأمة المسلمة ، لا ينفك عنهم ، ولا يعيشون بدونه ، وهو من معطيات إسلامهم ، وآثار إيمانهم ، وينابيع معرفتهم.

٤ – **الحرية :** وهي لازمة للفرد المسلم ، وتشمل عقيدته وتفكيره وعمله .

فالمسلم الحق لا يذله الطمع لأحد غير الله ، ولا يسترقه الخوف من شيء إلَّا من الله تعالى ، ولا تأسره الشهوات ، ولا تستعبده الملذات ، فهو حر تام الحرية في عقيدته ، كما هو حر في تفكيره ، فلم يخضع لأي ضغط خارج عن عقيدته ، فيحمله على أن يفكر بتفكير غيره ، أو يرى رأيًا سواه ، وذلك لسمو عقيدته وقوة سلطانها على روحه ووجدانه ؛ إنها – لشمولها لمجالات الحياة ، وآفاقها

الواسعة – لم تسمح له أن يكفر في غير ما تمليه عليه ، وتدعوه الى تحصيله من كل كمال بشري وكرامة إنسانية .

٥ – **الكرامة :** وهي الخصيصة الآدمية التي وهب الله تعالى الانسان. قال تعالى : «ولقد كرمنا بني آدم»[1] فلم يكن الفرد المسلم ليتخلى عنها ، أو يقبل المساس بها ، أو المساومة عليها ، اذ هي عنصر كماله ، وتاج سلطانه ، فلا معنى لحياته بدونها . وهو يرى توفيرها لجسمه و دينه وعقله وعرضه وماله ، فلا يقبل أن يؤذى في جسمه بضربه أو قتله ، ولا في دينه بانتقاصه أو عدم احترامه . ولا في عقله بتضليل أو فساد ، ولا في عرضه بأن ينال منه أدنى منال ، ولا في ماله بسرقته أو اغتصابه أو الاعتداء عليه بحال من الأحوال .

وخلاصة القول في هذا : ان الفرد المؤمن العالم ، ذا الخلق الفاضل ، والحر الإرادة ، الموفور الكرامة ، هو الخلية الحية في تكوين جسم الأمة القوية .

فمن الأفراد المؤمنين العارفين الأخلاقيين الأحرار الكرماء تتكون الأمة المسلمة التي هي أحد اسس الدولة الاسلامية ، والسؤال الملح الآن هو :

---

١) سورة الأسراء : ٧٠

من أين يؤتى بمثل هؤلاء الأفراد؟ وكيف يتم تكوينهم هذا التكوين الصحيح السليم؟ وما هي عوامل ذلك وأسبابه ؟

ولعل الجواب الصحيح هو أن نقول : إن الفرد يأتي من طريق الإعداد والتربية والتكوين .

فعندما يوجد الرجل الكامل الملهم ، يمكن إعداد الأفراد وتربيتهم وتكوينهم التكوين الصحيح السليم ، والذين يصحبونه ، هم الخلايا الحية في جسم الأمة .

أما عن عوامل ذلك الإعداد ، وتلك التربية وأسبابها فإنا نقول : إنها تنحصر في الإيمان الصحيح ، والقانون التربوي السليم ، والسلطة الحاكمة الرشيدة .

فالإيمان الصحيح يهيىء النفوس لتقبل الفضائل ، والقانون التربوي يغرس الفضائل وينميها ، والسلطة الحاكمة الرشيدة تحميها وتحافظ عليها حتى لا تتلاشى وتضيع .

وقد تقدم بيان الإيمان الصحيح ، وسيأتي بيان القانون التربوي السليم ، والسلطة الحاكمة الرشيدة ضمن الحديث عن مادة الحكم والحاكم إن شاء الله تعالى .

الأساس الثالث

الحكم

تعريف

إن المراد من مادة الحكم التي هي أحد أسس الدولة الاسلامية ، التي تقوم عليها هو أن يكون القانون الذي يسود الأمة ، وتحكم به ، وينظم سائر علاقاتها بالحياة كلها ، والكون جميعه أن يكون مادة وشرحًا وتفسيرًا من وحي الله تعالى رب العالمين ، لا يخرج منه شيء عن ذلك ، ولو قل . وهذا لأمور عينت ذلك وحتمته وهي :

١ – ربانيته ٢ – عدالته ٣ – شموله ٤ – سلامته ٥ – صلاحيته

١ – ربانيته :

لقوله تعالى : (وانه لتنزيل رب العالمين)

وتعني كلمة الربانية النسبة الى الرب تبارك وتعالى ، وذلك من ثلاثة أوجه :

الأول : أنه تنزيله وتشريعه ، أوحاه إلى رسوله ، وأمره بتبليغه وتنفيذه .

الثاني : أنه يشدُّ كل شيء في الحياة الخاصة والعامة للأمة والفرد ، ويربطه بالرب عز وجل ، اذ جميع مواده

تهدف الى غاية واحدة ، وهي أن يعبد الله في الارض – وحده دون شريك – عبادة قد توقف عليها كل كمال البشر وسعادتهم في الحياتين .

الثالث : أنه مادة تربية للأفراد والجماعات في أرواحهم وعقولهم وأخلاقهم وافكارهم ، فهو المنهج التربوي الوحيد الذي لا غنى عنه ، ولا بديل له في تكوين الفرد المؤمن الصالح ذي الاخلاق الفاضلة والحرية والكرامة ، والذي سبق أن بينا أنه هو الخلية الحية في جسم الأمة المطلوبة للدولة الاسلامية المثالية التي هي حاجة العالم البشري اليوم .

٢ – عدالته :

لقوله تعالى : (وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلا) [الانعام : ١١٥] إن عدالة القانون الإلهي يجب أن تكون مسلمة مقطوعا بها ، وذلك لسببين هما :

أ – علم الشارع ، وهو الرب تبارك وتعالى بالمشروع لهم من خلقه ، وهم عباده ، إذ أنه – تعالى – قد أحاط بكل شيء علما ، فلا يخفى عليه شيء من أحوال عباده وأمورهم وحاجياتهم ومتطلبات حياتهم ، وذلك من أول نشأتهم إلى منتهى أمرهم .

ب – غناه – سبحانه وتعالى – عن كل ما سواه من سائر مخلوقاته ، وكماله المطلق . وبنـاء على هذا ، فإن علمه – تعالى – بخلقه وغناه عنهم يحيل معنى الحيف والجور فيما يشرع لعباده ويضـع لهـم من قوانين يحفظ بهـا عليهـم كل ما يحمونه من أبدانهم وأموالهم وأعراضهم وعقولهم وأديانهم ، لأن عدم العدالة في الشرع ينشأ عن أحد شيئين : جهل الشارع بظروف وأحوال وحاجات ومتطلبات حياة من يشرع لهم ، وكلا الأمرين منتـف عن الله عز وجل ، وبذلك ثبت العدل فيمـا يشرع لعباده ، وانتفى منه الحيف والجور البتة .

٣ – شموله :

لقوله تعالى : (ما فرطنا في الكتاب من شيء) [الأنعام :٣٨] . الحكم الرباني لا يكون إلا عادلا ، ولا يكون إلا شاملا لكل ما تتطلبه حياة الإنسان حاويًا لكل عناصر الخير التي يكون بهـا الحكم صالحًا ، إذ موضوع الحكم هو الإنسان من حيث كونه إنسانًا في علاقته بالخالق والكون والحياة ، وفي عقيدته وعقله وروحه وجسمه وعواطفه وافكاره ، وآماله وأشواقه ، وسعادته وشقائه في أولى حياتيه ، وفي أخراهمـا ، وفي البرزخ بينهما فلا بد إذًا وأن يلبي الحكم الرباني كل هذه الرغبات ، ويستجيب

لكل هذه المتطلبات ، وكذلك كان ، فالحكم الإسلامي يتناول الإنسان من ساعة علوقه نطفة في جدار رحم أمه إلى أن يوضع في قبره عند نهاية حياته الأولى ، فما من حالة من حالاته إلا ولها حكم في الشرع يخصها ، ومادة في القانون تتعلق بها .

وهذا الشمول مع الإحاطة بجميع شؤون الحياة والإنسان مع الربانية الكاملة ، هو الذي جعل الحكم الإسلامي أحد أسس الدولة الإسلامية التي لا تقوم الا بها ، ولا تبنى إلا عليها .

٤ – سلامته :

لقوله تعالى : (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) [المائدة : ٥٠] الحكم الرباني سليم من الخطأ ، فلا يقع فيه خطأ أبدا . وسليم من الإغفال ، فلا يغفل جانبًا من جوانب الحياة بحال من الأحوال ، وهو يتناول الإنسان بوصفه إنسانًا ، والكون حوله ، فلا يغفل شيئًا يتعلق بحياة الإنسان أو ينساه أبدا . وهو سليم من التغيير والتبديل ، والتحريف والتزييف (إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون) [الحجر : ٩]– فلا يتأتى لأحد أن يعمد إليه فيحرفه ، أو يزيد فيه أو ينقص منه . (لا يأتيه الباطل

من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) [فصلت : ٤٢] . وهذا ما جعل النفوس تسكن إلى قضائه ، وترضى بقوانينه ، وتسلم بأحكامه (فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحكِّموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حَرَجًا مما قضيت ويسلموا تسليما) [النساء : ٦٥] .

٥ – صلاحيته :

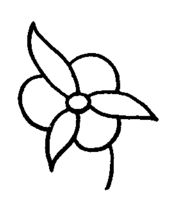
لقوله تعالى : (فمن اتَّبع هدايَ فلا يَضِلُّ ولا يشقى) [طه : ١٢٣] . الحكم الرباني يمتاز بصلاحيته الكاملة ، اذ هو موضوع لبني الإنسان كلهم : أبيضهم وأصفرهم ، أولهم وآخرهم ، حاكمهم ومحكوميهم ، فحيثما وجد الإنسان ، وفي أي مكان أو زمان وجد ، كان القانون الرباني سبيل هدايته ، ومادة تربيته ومنهج إصلاحه ، وطريق سعادته .

إنه القانون الإلهي الذي لا يؤثر فيه الزمان مهما بعد ، ولا المكان مهما نأى ، ولا اختلاف أجناس الناس مهما عظم . انه وضع ليساير الإنسان في مواكب حياته كلها ، ويطوره ويرقى به إلى أسمى قمة الكمال المرجو له في هذه الحياة ، وهو في نفسه قار ثابت لا يتطور ، ولا يتبدل أو يتغير بحال من الأحوال ، ومن رام تطويره

بإخضاعه لسنن الهوى ، وتسييره في دروب الشهوات ، فقد رام إخراجه عن طبعه ليفسده ويفقده هدايته وصلاحيته .

وأخيرًا : فربانية الحكم الإسلامي وعدالته وشموله وسلامته وصلاحيته ، هي التي حتَّمت أن يكون أحد أسس الدولة الإسلامية التي يجب أن يقوم عليها ، كما أنها لا توجد قوية صالحة محققة للإسعاد البشري إلا بها .

ووجب على المصلحين في العالم أن يعملوا متضامنين على تحقيق حلم البشرية في إيجاد الدولة الإسلامية التي تحقق سعادة الإنسان ، وتجنبهم من الخسران .



الأساس الرّابع

الحَاكِم

الحاكم في الدولة الإسلامية هو أحد اسسها التي لا تنبني الا عليها ، ولا تقوم الا بها . ولم يكن بأقل شأنًا من بقية أسس الدولة بل هو أهمها وأخطرها ، إذ صلاح الدولة بصلاحه وفسادها من فساده .

وكلمة الحاكم في الدولة الإسلامية تعني الرجل المسلم ذا الكفاية من العقل والتقوى والقدرة والشجاعة .

وهو المؤهل بهذه الصفات لبيعة المسلمين ، وتقديمه عليهم في أمور دينهم ودنياهم ، ليحكمهم بشرع الله حكمًا قائمًا على مبدأ الشورى ، والعزم الصادق ، والتوكل المطلق (وشاوِرْهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله) [آل عمران : ١٥٩] .

والغاية من نصب الإمام وبيعته إقامة الدين ، وحفظ العباد والبلاد ، وذلك بواسطة الحكم العادل والحكومة القوية الرشيدة .

كيفية تنصيب الحاكم :

إن الطريقة المثلى التي ينصب بها الحاكم في الدولة الإسلامية ، هي اختيار أهل الحل والعقد في الأمة ، والابرام والنقض فيها

من العلماء ، وأمراء الجيوش ، وأرباب التجارة والصناعة لرجل مسلم ذي كفاية وكفاءة ، يبايعونه وتبايعه الامة معهم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لإقامة الدين ، وإنفاذ الأحكام الشرعية ، وإقامة الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى .

كيف يحكم الأمة وبماذا ؟ :

ويحكم من ينصَّب إمامًا للأمة في الدولة الاسلامية يحكم بواسطة أمرين :

أحدهما : جهاز حكومة قوية يقيمها الحاكم بعد مبايعته مباشرة باختيار الأفراد الصالحين وتزكيتهم من ذوي الكفايات والكفاءات من الإيمان ، والعلم والتقوى ، والقدرة . فيعين منهم نائبه ووزراءه ، ومجلس شوراه ، والولاة ، والقضاة ، ويقسم البلاد الى مقاطعات أو ولايات أو عمالات ، وينصّب على كل اقليم واليًا ينوب عنه في تصريف شؤون الأمة ، ورعاية مصالحها ، وحماية ما يحميه كل افرادها من دين وعقل وعرض وبدن ومال .

والثاني : الدستور الاسلامي المستمد نصًا وروحًا من الوحيين : الكتاب والسنة ، وما استنبطه منهما علماء سلف الأمة الإسلامية الصالح من رجال الفقه الذين اجتهدوا في استخراج الأحكام

الشرعية من الكليات العامة في الكتاب والسنة مما هو كالشرح والتفسير للعمومات في الوحيين والخصوصات فيهما .

ماذا يسمى الحاكم ؟ :

الاسم الذي ينطبق على الحاكم في الدولة الإسلامية انطباقًا شرعيًا وصحيحًا ، هو الإمام ، لأنه يؤم المسلمين في الجهاد والصلاة ، ويتقدمهم في عظائم الأمور ومهامها غير انه ليس شرطًا أن يسمى بهذا الاسم دون غيره من الألقاب والأسماء كالسلطان والخليفة والملك والرئيس ، اذ العبرة في كونه مبايعًا بيعة شرعية لإقامة الدين ، وإنفاذ الأحكام الشرعية ، وإقامة الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ، وفي كونه اهلاً لذلك بما وهبه الله تعالى من صفات الكمال البشري من الايمان والعلم والتقوى والقدرة والشجاعة ، كما أن توفر هذه الصفات ليس شرطًا لازمًا بصورة مثالية لا نظير لها ، وإنما يكفي في ذلك أن يكون فيها أمثل من غيره من المؤمنين والمسلمين ، ومتى أمكن ذلك وتهيأ أيضا ، ويبايع الأفقه إمامًا للمسلمين ، اذا لم يوجد بينهم من هو أمثل منه فيها وأكمل .

مهامُّ الحاكم :

والمهام التي يضطلع بها الحاكم في الدولة الإسلامية هي

إقامة الدين ، وإنفاذ الأحكام الشرعية ، وإدارة الحكومة ، وتصريف شؤون الأمة ، وحماية أفرادها وبلادها ، ورعاية ذلك ، وإمامة المسلمين في صلاتهم ، وإقامة الجهاد بينهم لإعلاء كلمة الله تعالى بحماية دينه وكتابه وعباده المؤمنين . وحتى يعبد الله وحده ، ولا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله .



الأساس الخامس

الحكومة

تعريف

الحكومة هي آخر الأسس التي تقوم عليها الدولة الإسلامية ، ومدلول لفظ الحكومة : يعني كل أجهزة الدولة التي يقيمها الحاكم الذي هو إمام المسلمين ، والتي بواسطتها يدير شؤون العباد والبلاد إدارة صالحة تحقق سعادة الفرد والجماعة في إطار صفاء الروح ، وعزة الإيمان ، وأخوة الاسلام ، والكرامة الآدمية ، وذلك من جميع الوزارات والقيادات والولايات والبلديات ، ومن سائر مصالح الدولة المختلفة التي تعود إليها ، لتقوية كيانها ، وبسط نفوذها ، وتعزيز سلطانها وهيمنتها مما يجعلها قادرة على تحقيق أهدافها المنوطة بها من حماية البلاد والعباد ، ونشر رسالتها : رسالة الهدى والنور في العالمين .

عناصر وجود الحكومة :

والحكومة في الدولة الإسلامية تستمد وجودها وطاقة قدرتها من ثلاثة أشياء رئيسية في كيانها وهي : الحاكم والقانون والأمة .

أما الحاكم فإنه يمنحها الصلاحية اللازمة للتخطيط والعمل والتنفيذ داخل إطار الدستور الإسلامي الذي هو مادة الحكم في الدولة الاسلامية ، والمعبر عنه بالقانون ، اذ لا مشاحَّة في الألفاظ ما دامت الحقيقة واحدة ، وهي أن الحكم لله ، لا سواه ، وما الحاكم الا منفذا لأحكام الله تعالى في عباده ، وما العلماء الا مبينين لأحكام الله تعالى ، مظهرين لها في الصورة التي هم يوقنون أنها مرضية من الله تعالى لموافقتها مراده من خطابه لعباده المؤمنين .

وأما القانون فإنه يمدها – الحكومة – بخط السير واضحًا محددا خاليًا من اللبس والالتواء والغموض ، إذ به وحده يمكنها أن تسير الى أهدافها في راحة وطمأنينة ، وتصل إلى غاياتها من الطهارة والصفاء ، والامن والرخاء ، وتحقيق السعادة العاجلة والآجلة لجميع المنضوين تحت رايتها ، والسائرين في ركاب هدايتها وقيادتها من جميع الناس .

وأما الأمة فإنها تهبها – بإذن الله تعالى – القدرة والإنجاز بما تمدها به من خيرة رجالتها الأكفاء الصالحين ، وبما تهيئها له من فرص صالحة للعمل والتنفيذ ، اذ الأمة هي الحقل العام للعمل الحكومي ، والمعرض الصالح للإنتاج والتقديم ، وفيهما يظهر مدى صلاح الحكومة ، وقدرتها ، ومدى عجزها وفسادها .

فالأمة بمثابة المرآة التي يظهر فيها وجه الحكومة على حقيقته

إن كان حسنًا مشرقًا ، فهو حسن مشرق ، وإن كان دميمًا مظلمًا ، فهو كذلك .

وليس هو أجهزة الدعاية من صحافة وإعلام وإذاعة وتلفزيون ، كما هي عليه أكثر حكومات الناس اليوم حيث الكذب والتزوير ، وتشويه الحقائق وقلب الأمور .

وخلاصة القول في هذا الأساس الأخير للدولة الاسلامية : أن الحكومة هي الحاكم والقانون والأمة ، اذ لا حكومة قوية رشيدة بلا حكم قوي رشيد .

ولا حكومة صالحة بلا قانون صالح ، ولا حكومة عظيمة بلا أمة عظيمة .





العَرْضُ وَالتّطبِيق

تلك هي الدولة الاسلامية بأسسها القوية ، وبنائها الشامخ ، وهي تمثل الحق و الهدى والخير في دنيا البشر وبين العالمين .

وهذا عرض سريع يقف بالقارىء على كل مظاهر الحياة في تلك الدولة حكومة وأمة ، وينقله بسرعة من ميدان النظريات إلى ساحة العمل الواقعي والتطبيق الصادق .

ويقف فيها القارىء الكريم على كل مرافق الحياة في الدولة الاسلامية المثالية المنشودة ، ويرى بنفسه لون الحياة الفاضلة الكريمة التي تحياها الأمة الاسلامية ، والأنظمة الدقيقة التي تربط كل حياتها بالخالق والكون والحياة .

ولنبتدىء مع أخي القارىء جولتنا بزيارة أقدس مكان في دولة الإسلام ، ألا وهو المسجد ، وذلك لنقف على مظاهر الحياة فيه ، ونرى ما إذا كانت تلك النظريات التي تقدمت هي حقيقة وواقع ، أم هي مجرد نظريات خيالية لا حقيقة لها ، ولا وجود .

المسجد :

إرفع رأسك – أخي – وانظر ماذا كتب على باب المسجد ، فرفع أخي رأسه وقرأ العبارة التالية :

هذا بيت الله . وهذا الباب خاص بدخول النساء .

وطلبنا بابًا آخر للمسجد ، فوقفنا على باب واسع جميل قد كتب أعلاه : هذا بيت الله . وهذا الباب خاص بدخول الرجال .

فدخلنا ، فإذا مسجد رفيع البناء ، فسيح الأرجاء يتسع لأهل حي كامل من أحياء مدينة من المدن ، وقد قسم بسياج من نحاس أصفر ، حيث خصص القسم المؤخر منه للنساء ، والمقدم للرجال ، وكتب في لوحة جميلة بخط عربي جميل العبارة التالية :

هذا مصلىً النساء من المسجد لحديث الرسول ﷺ : «خير صفوف الرجال أوَّلُها ، وشرُّها آخرها ، وخير صفوف النساء آخرها ، وشرُّها أولها» .

ودخلنا المسجد ، والشمس تدنو من حجابها ، وما بالمسجد الا نفر قليل من الرجال والنساء ، وما راعنا إلا تدفق الرجال والاطفال على المسجد حتى ظننا أنه لم يبق بالبلد أحد . وما إن أُذِّنَ للمغرب ، وأقيمت الصلاة ، وصلَّت تلك الجماهير صلاة المغرب والسنة بعدها حتى جلس على كرسي عالٍ رجلٌ مهيب ذو لحية كثة ، وصوت جهوري شجي ، واستنصت الناس فأنصتوا ، وأخذ يقرر حقائق الإيمان ومظاهره ، وآثاره في النفس والسلوك ، فأثار المشاعر ، وهز النفوس ، واستمر

على حديثه ساعتين كاملتين ، وتلك الجماهير منصتة خاشعة مقبلة بوجوهها وقلوبها ، محدقة بأبصارها حتى نودي لصلاة العشاء ، فصلت الجماهير ، وانصرفت في سكينة وهدوء ، وقد تزوَّدت بطاقات جديدة من الإيمان والمعرفة ، وعادت إلى منازلها للسكون والاستراحة . وهي أكثر ما تكون إيمانًا وخوفًا ورجاء .

ورأينا الاتصال بإمام المسجد لنتعرف على بعض ما ينبغي أن نعرفه بخصوص المسجد وأهله ، فابتدرنا الإمام وهو داخل إلى مقصورته ، فسلمنا عليه . واستأذنا في الدخول معه ، فأذن ودخلنا ، فقلنا : لقد أعجبنا بما رأينا من سعة هذا المسجد ، وكثرة جمهور المصلين به ، وحسن آدابهم في استماعهم للدرس ، وفي دخولهم للمسجد وخروجهم منه ، فهل لك أن تعطينا فكرة صالحة حول نظام المساجد في بلادكم ، ورغبة الناس في الحضور اليها وآدابهم الممتازة فيها ؟ ؟

فقال : نعم ولا مانع عندي من ذلك ، واسمعا أحدثكما : إن النظام الإسلامي الذي تعيش عليه الدولة والأمة ، يقرر أن الإنسان مكون من روح وجسم ، كما هو واقعة المشاهد المحسوس ، وأن لكل من روحه وجسمه ضروراته الخاصة به ، وأن الإنسان مأمور بتوفير متطلبات جسمه من هواء وغذاء وماء ودواء ، ليبقى ناميًا صالحًا يؤدي وظائفه في الحياة ، كما هو مأمور بتوفير

متطلبات روحه من عقيدة صالحة ، وعمـل صالح مزكٍّ لها ، لتبقى مشرقة طاهرة .

وانطلاقًا من هذا المبدأ المعترف به رسميًا ، فإن نظام تخطيط المدن وإنشاء القرى والمستعمرات ، يحتم بأن يوجد في كل قرية من القرى ، وحي من الأحياء السكنية مسجد يتسع لكل أفراد القرية أو الحي ، ويزود بخيرة العلماء الربانيين لتعليم الجماهير المؤمنة وتربيتهم التربية التي تنمي إيمانهم ، وتهذّب شعورهم ، وتصلح أخلاقهم .

كما هو الشأن بالنسبة إلى المشافي ، فإنه ينشأ في كل قرية أو حي مستشفى لعلاج أجسام الأفراد ، والمحافظة على مستواهم الصحي . فالمستشفى يقابل المسجد ، وكل منهما يقدم خدمة خاصة ومماثلة : هذا للجسد ، وذاك للروح ، وإذا كان من ضروريات المستشفى أن يزود بأحسن الأدوية وأنجحها ، وبخيرة الأطباء الأكفاء ، فالمسجد كذلك يجب أن يزود بأنفس الكتب وأنفعها ، وبخيرة العلماء الصلحاء ، وبهذا يتحقق للمواطن في الدولة الاسلامية الحفاظ على جسمه وروحه صالحين ، يؤديان وظائفهما في الحياة . فتكمل بذلك إنسانية الفرد ، ويسعد في دنياه ، ويتهيأ للسعادة الحقة في أخراه .

وهنا سكت الامام هنيهة ، ثم استأنف حديثه وقـال : هذا بالنسبة الى المساجد ونظامها في بلادنا ، والرسالة التي

تؤديها الى جماهيرنا ، وأما بالنسبة الى رغبة الناس في الحضور الى المساجد ، وحسن آدابهم فيها ، فإن لذلك حديثًا خاصًا سأحدثكما به – إن شاء الله – وهو أن هذه الأمة قد ارتفعت درجة الوعي بين أفرادها الى مستوى عال جدًا ، وكان ذلك نتيجة التعليم والتربية اللتين تتلقاهما الجماهير في المساجد. وأكبر برهان على ذلك أن تخرجا من المسجد ، وتتجولا في شوارع المدينة ، وترقبا عن كثب سلوك المواطنين ، فإنكما – بدون شك – ستجدان نظام الحياة وأسلوبها وطابعها يختلف تمامًا عما عليه غير هذه الأمة من سائر الناس ممن لا تظلهم راية الدولة الإسلامية ، ولا يحكمهم شرع الله تعالى ، ومرد ذلك إلى شيئين اثنين:

أولهما : إيمان هذه الأمة الكامل .

وثانيهما : قوة السلطة الحاكمة وإيجابيتها .

فإيمان الأمة بالله ولقائه ، ووعده ووعيده ، جعلها تنظر الى الحياة الدنيا على أنها ميدان عمل جاد وصالح لا غير ، فلا مكان فيها للهو ولا للعب ، وطبع ذلك حياتها كلها بطابع الجد والحزم ، وأخفى منها مظاهر الباطل واللهو والعبث ، فاورثها ذلك ما ستشاهدانه من كمال في كل مجالات حياتها .

وأما قوة السلطة فإنها مكنتها من الاستقامة على المنهج ، والتطبيق للقانون ، فاكتملت لها قوة العلم والارادة ، ومن مظاهر ذلك أنه لا يسمع في كل البلاد طولاً وعرضًا الا صوت

واحد هو صوت إذاعة الدولة فقط ، كأن لم يكن في العالم اذاعة غيرها كما أنها - اذاعة الدولة - تذيع طول النهار وشطرا من الليل ، وتسمع في كل أرجاء البلاد لوجود سماعات في كل شوارع المدينة وساحاتها ، تنقل إلى كافة جماهير الأمة صوت الدولة وبرامجها الأذاعية المقتصرة على نشرات الأخبار وتلاوة القرآن الكريم ، وعلى أكبر قدر من التعليم والارشاد والتوجيه في كل ميادين الحياة الجادة الكريمة .

ومما يلفت النظر أنه لا يوجد في الإذاعة عندنا صوت غناء ولا موسيقى البتة ، كما أنه إذا بقي من آخر النهار نصف ساعة توقفت الإذاعة ، وتوقف العمل في المصانع والمتاجر والأسواق والحقول ، وهُرِع أهل الأحياء والقرى بنسائهم وأطفالهم الى المساجد لأداء صلاة المغرب ، ولتلقي العلم والمعرفة على النحو الذي شاهدتماه آنفًا حتى إذا صليت العشاء ، عادوا إلى منازلهم مزودين بطاقات جديدة من الإيمان والعلم والمعرفة ، فيتناولون طعام العشاء ، ثم ينامون فور فراغهم من ذلك تطبيقًا لمادة : كراهية النوم قبل صلاة العشاء ، والحديث بعدها الا لضرورة تستدعي ذلك ، وهذا الذي سهل عليهم أن يستيقظوا قبل غيرهم بأكثر من ثلاث ساعات ، فيصلون الصبح في بعض الساعة ، وينطلقون الى ميادين العمل ، ذو الحقل في حقله ، وذو المصنع في مصنعه ، وذو المتجر في متجره ، وصاحب

المكتب في مكتبه ، فيعملون وينتجون ، والناس نائمون لم يستيقظوا بعد ، فعظم لذلك الإنتاج عندهم ، وكثر الخير فيهم ، وعمت البركة بلادهم ، وتمتعوا -والحمد لله- بما لم يتمتع به غيرهم من زينة الله التي أخرج الله لعباده والطيبات من الرزق ، وصدق فيهم قوله ربهم : (قل مَنْ حرَّم زينةَ الله التي أخرج لعباده والطيباتِ من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) [الأعراف : ٣٢] .

السوق :

ولما كنا من الغد ، رأينا أن نزور أحد أسواق المدينة لنتعرف إلى أحوال هذه الأمة خارج المساجد ، حيث تظهر الأشياء على حقيقتها خالية من التكلف والتصنع ، ووصلنا إلى السوق ، فإذا باب واسع كبير قد كتب عليه في أعلاه العبارة التالية :

الأسواق موائد الله ، فتلمسوا الرزق من الأسواق وبخط واضح كتبت الجملة الآتية :

من لم يعرف أحكام التجارة ، فلا يدخل علينا أسواقنا .

ودخلنا السوق ، وملنا الى أحد الباعة في زاوية قريبة من الباب ، وسألناه بعد السلام عليه قائلين : هل تؤخذ أيها الشيخ منكم ضريبة البيع في هذه السوق ؟ فتغير وجه الرجل ، وقال : ماذا تعنيان بضريبة البيع أيها الرجلان ؟ قلنا : ضريبة

البيع ، فقال : تعنيان بها المكس؟ قلنا : نعم . قـال : نعوذ بالله أن يكون في أسواقنا مكس ، إن المكس حرام . فكيف تقره دولة الإسلام ، وتبيحه لنفسها؟ معاذ الله ! أن يكون هذا في بلد إسلامي وأمة إسلامية ، وهما يسودهما حكم إسلامي .

وتركنا الرجل بعد أن أعتذرنا اليه لنقف على شيخ كبير يبيع كزبرا وتوابل وحوامض ، ونسلم عليه ، فيرد السلام ونقول له : هل ما تحصل عليه من ربح قليل ببيع هذه التوابل والحوامض يسد حاجتك وحاجة أسرتك أيها الشيخ؟ فيجيبنا قائلاً : نعم والحمد لله ، وأنا سعيد جدًا ، إني لخير من رجل يعمل براتب كبير يتقاضاه من مؤسسة تتعامل بالربا ، وخير بكثير من رجل يحصل على ربح طائل من بيع المحرمات كالخمر والتبغ والصور والتماثيل واسطوانات الاغاني ، كما أني أسعد من رجل يمد يده للناس متسولاً ، أعطوه أو منعوه .

وتركنا الرجل ، وقد ذكّرنا بأوضاع بلادنا الفاسدة ، وما عليه إخواننا من أكل الربا وبيع المحرمات ، وهي نتيجة حتمية لغيبة الحكم الاسلامي عن بلادنا . وواصلنا تجوالنا في السوق ، ونحن مندهشين لما رأينا من هدوء السوق وسكونه ، فلا صياح ولا صخب ولا جلبة ولا ضجيج على خلاف المعروف من أسواق الناس .

وتركنا السوق ونحن نردد العبارة التي قرأناها على بابها :

من لم يعرف أحكام التجارة فلا يدخل أسواقنا. بعدما سجل أحدنا الملاحظة التالية :

لا ضريبة مكس على الباعة ، لأن المكس حرام. بائع كزبر وتوابل أسعد حالا من ذي الارباح الطائلة والرواتب الضخمة ، لأنه يعيش من الحلال ، وأولئك يعيشون من الحرام.

وغير بعيد عن السوق يلفت نظرنا وجود لوحة نحاسية جميلة ، قد كتب عليها بخط عربي العبارة التالية : هنا المصرف الأهلي للقرض والإيداع والتحويل.

ورغبنا في التعرف إلى مثل هذا المصرف لنقف على أنظمة العمل فيه وكيفية التعامل معه من قبل المواطنين المسلمين ، ودخلنا المصرف ، فوجدناه يضم بين جدرانه عددا محدودا من الموظفين ، وهم كاتبان وحاسب وصارف وخازن وحارس لا غير.

فيجيء الرجل يطلب قرضًا ، فيقدم وثيقة بيده ، فتتسلم منه ، فيسجلها الكاتب ، ويكتب له طلبًا بالقرض المطلوب ، ويحوله إلى الخازن «أمين الصندوق» فيصرف له على الفور المبلغ المطلوب ، وينصرف ، ويجيء آخر وبيده نقود يريد إيداعها في المصرف فيسلمها الى الحاسب فيعدها أيضًا ، ويكتب له سندا بها ، يدفعه اليه ، ثم يحولها الى الخازن ، فيضعها في الخزانة ، ويجيء ثالث بيده نقود يريد تحويلها الى بلد ما ،

فيقدمها الى الحاسب فيحسبها ، ويلفها لفافة ، ويكتب عليها اسم المحوِّل والمحوَّل اليه ، وعنوان كل منهما ، ثم يحولها الى الكاتب على يمينه ، فيكتب له سندا بنفس المبلغ المحوَّل ، ويعطيه اياه ليرسل به الى المحول له بواسطة البريد ، ويحول الكاتب المبلغ الى الخازن ، فيودعه في الخزانة ، وينصرف الرجل ، وقد حول ما أراد تحويله بكل هذه السهولة واليسر .

وهكذا يجري العمل في هذا المصرف ، وفي سائر المصارف في الدولة الاسلامية كما قيل لنا ، وهو أمر عجب نظرًا لتلك التعقيدات التي نعرفها في البنوك والمصارف في غير هذه البلاد الاسلامية .

وهممنا بالخروج من المصرف ، ولكنا وجدنا أنفسنا مأخوذين بما رأيناه ، مدهوشين بما شهدناه من دقة النظام وسرعة العمل ، وحسن المعاملة الأمر الذي دعانا الى أن نتصل بأحد الكاتبين ونقول : هل في الامكان أن نسأل اخوتكم بعض الأسئلة التي تتعلق بنظام المصارف في بلادكم ؟

فقال : نعم ، ولكن بعد نهاية العمل . وواعدنا ساعة من نهار نأتيه فيها ، وفي الوقت المحدد أتيناه فوجدناه في انتظارنا ، فدخلنا المكتب عليه ، وسلمنا فرد السلام ، وقال : تفضلوا مرحبا بأخوي الاسلام ، وأشار أنِ اجلسا ، فجلسنا على كرسيين حوله ، ثم قال : تفضلا أيها الأخوان بأسئلتكما ،

فسأله زميلي قائلاً : على أي أساس تقام هذه المصارف عندكم ؟ فأجاب قائلاً : الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد : فبحكم أننا مسلمون مأمورون بالصدق والوفاء ، وفعل الخير والرغبة فيه ، والتعاون عليه ، فإن أهل كل حي من أحياء المدن ، وأهل كل قرية من القرى يكوّنون مصرفاً كهذا المصرف في حيهم أو قريتهم ، فيودع فيه كل فرد ما يتوفر له من نقد بحيث لا يبقى في جيبه أكثر من مصروفه الشهري ، وكل ما زاد يضعه في المصرف ، وذلك من أجل غرضين :

أولهما : أن يحفظ ماله في المصرف ، وهو لا يرغب في تنميته به ، ولكن في صيانته وحفظه ، حيث يوضع في المصرف ضمن الودائع التي تحفظ لأصحابها . غير أنه يتفضل بالإذن للمصرف ليستعمله في مشاريعه الإنمائية ، ويحتسب أجره على الله تعالى .

وثانيهما : أن يضعه في المصرف بقصد إنمائه والربح به فيجعله في المصرف مثل سهم من الأسهم في مؤسساته المختلفة من تجارية وصناعية وزراعية ، وإنشائية عمرانية . ويكون الربح والخسران بحسب الأسهم ، قلة وكثرة كما هو معلوم في باب المضاربة والشركات في الفقه الاسلامي .

ومن هنا كان المصرف يقرض المحتاج من المواطنين الى آجال بعيدة وقريبة وبلا فائدة ، وكل ما في الامر يستوثق في

دينه برهن ما يضعه المستقرض تحت يد المصرف ، وقد لا يطالب المصرف بوضع رهن أبدا لما يعيش عليه المواطنون من الوفاء والصدق ، اذ هما من مبادىء الكمال الذي تقوم عليه حياة المسلم في هذه الدار .

كما يقوم المصرف بكافة التحويلات المالية من بلد الى بلد آخر داخل هذه الدولة الإسلامية وبلا فائدة بالمرة ، ولا تقولا أيها الأخوان : كيف يقرض المصرف ويحوِّل بلا فائدة ، وله عمال وموظفون يتقاضون أجورًا شهرية ؟ وقد علمتما أن المصرف يساهم في مشاريع كبيرة تدر عليه أرباحًا عظيمة ، منها يسدد أجور عماله وسائر مصروفاته اللازمة له ، ولتعلما أيضا أيها الأخوان أنه ليس شرطا ان يساهم المصرف في كل ما ذكر من المشاريع والمؤسسات المختلفة ، اذ قد يكتفي بمشروع واحد ، وذلك بحسب رأس المال الموجود لديه ، لأن المهم أن نتيح للمواطن المسلم فرصة تنمية ماله إن كان يرغب في تنميته أو فرصة حفظه الى ساعة الحاجة اليه مع المثوبة من الله تعالى على إذنه للمصرف باستخدامه في مشاريعه الضرورية له لأداء واجبه بين المسلمين في البلاد .

وهنا نظر محدثنا الى ساعة في جيبه ، وقال : هذا وقت المسجد ، فلنذهب الى المسجد ، وذهب وتبعناه ، فإذا مسجد

الحي على ما شاهدنا أمس سعة وكثرة المؤمنين به ، وحسن آدابهم فيه .

ونمنا ليلتنا ، وبعد صلاة الفجر وانتشار الناس في أعمالهم رأيت مع زميلي أن نذهب الى أحد المقاهي .

المقهى :

وليس بعيدا من منزلنا يوجد مقهى فأتيناه ، فاذا به مقهى واسع جميل قد كتب على لوحة فوق بابه العبارات التالية :

على كل من جلس هذا المجلس أن يقوم بما يلي :

١ – رد السلام على من سلم عليه .
٢ – أن يأمر بالمعروف إذا تُرِكَ أمامه .
٣ – أن ينهى عن منكر ارتكب بين يديه .
٤ – أن يرشد من استرشده .

ودخلنا المقهى ، فإذا بنايته تضم رواقين واسعين ، قد وضع في كل منهما مناضد جميلة ، صفت حولها كراسي مريحة . أما الرواق الأول فهو عبارة عن مكتبة للقراءة الإخبارية ، والنشرات الإعلانية .

وأما الثاني فهو معد للشرب والاستراحة المؤقتة كمرفق

من المرافق الضرورية لحياة المدن. ولفت نظرنا واسترعى انتباهنا أمران :

أحدهما : الهدوء التام الناتج عن قلة الحركة ، وانعدام الصخب والضجيج على خلاف المعروف في المقاهي .

وثانيهما : الطريقة التي يطلب بها المرء حاجته من صاحب المقهى ، وهي أنه يوجد بكل منضدة زر يضبط عليه المريد لشيء من صاحب المقهى ، فيؤشر له الى المنضدة التي يطلبه صاحبها ، فيأتيه فورًا ، ويسأله عن طلبه ، ويقدمه له من غير حاجة الى تلك النداءات والصيحات المقلقة التي عرفها الناس في مقاهي غير هذا البلد الاسلامي العظيم ..

وتركنا المقهى متعجبين من دقة التنظيم ، وجمال المنظر ، وتوفير الراحة ، وعرفنا أن مرد ذلك الى الاسلام الذي هو دين هذه البلاد وقانونها ، ومنهاج حياتها ، فلا عجب أن ترتفع به هذه الأمة ، وتبلغ الكمال البشري ، وهي تعيش عليه عقيدة وعبادة ، وتحكِّمه شريعة وقانونًا ، وتطبقه نظامًا .

ورأينا زيارة مرفق آخر من مرافق هذه البلاد للتعرف على حياة هذه الامة والوقوف على كل شيء فيها ، ووقع إختيارنا على زيارة أحد الملاعب الرياضية ...

الملعب :

وسألنا على أقرب ملعب منا ، فأُرشدنا الى ملعب « الجهاد » فقصدناه ، وعلى بابه الواسع الكبير قرأنا العبارة التالية :

الجهاد فريضة ، والرياضة إعداد له

واستاذنا في الدخول ، فأُذن لنا ، وطلبنا الاتصال بمدير الملعب ، فتم لنا كذلك . وهذا زميلي يسأل ليتعرف على ما يجري في هذا الملعب من انواع الأنشطة الرياضية المختلفة فيقول : هل لكم يا أخي أن تعطونا صورة واضحة عن أنواع الرياضات المختلفة التي تزاول في بلادكم ؟

وكان مدير عام الرياضات المختلفة من جسمانية وعقلية حاضرا بمجلس المدير ، فأحالنا المدير على سعادته ، فرحب بذلك ، وقال : اليكما هذا المخطط الرياضي ، فإن به الجواب عن كل ما أردتما معرفته في هذا الخصوص ، وأدخل يده الى درج جنبه ، فأخرج كتاباً ، وناوله صاحبي فتسلمناه شاكرين ، وانتحينا ناحية من غرفة المدير الواسعة لنتصفح الكتاب ، فإذا قد كتب على غلافه العبارة التي قرأناها على باب الملعب مضافاً إليها عبارة : العقل السليم في الجسم السليم وعلى الصفحة الأولى جدول كامل بأنواع الرياضات المختلفة هذه صورته :

الرياضة البدنية :

١ – كرة القدم .

٢ – السباحة .

٣ – الرماية .

٤ – العدو .

٥ – السباق .

٦ – قيادة السيارات والدبابات والطائرات .

وفي الصفحات التالية من المخطط تفاصيل تلك الرياضات البدنية :

أولا : كرة القدم ، ويزاولها الفتيان الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٢٥ سنة .

وأعد لها الملاعب الآتية : ملعب الجهاد ، وملعب النصر ، وملعب كذا وكذا .

ووقتها المحدد لها من بعد صلاة العصر الى ما قبل صلاة المغرب بنصف ساعة . واللباس المخصص لمزاولها هي صدرية خفيفة صيفًا ، وثقيلة شتاء ، ووسطا في الاعتدال . وسروال يصل الى نصف الساق ، ولا يصف ولا يشف ، ولا يجوز البتة أن يكشف اللاعب شيئًا مما بين سرته وركبته .

ثانيًا : السباحة ، وقد أعد لها مسبح النجاة ، ومسبح كذا .. وكذا ...

ووقت هذه الرياضة المحدد لها ، هو من بعد صلاة الصبح .
وشرطها : أن يزاولها الأحداث الذين تتراوح أعمارهم ما بين العاشرة والخامس عشرة ، ويكون ذلك تحت إشراف الخبراء المختصين ، ويعطى المتخرج شهادة بحسن السباحة .

ومدة التعليم فيها سنة كاملة ، ولا يزاولها الا منتسب رسميًا في الدورة ، ويشترط أن يكون لباس السابح سروالا قصيرا يستر ما بين سرته وركبتيه ، وأن لا يكون رقيقًا يصف البشرة ، أو يشف منها .

ثالثًا : الجسمانية ويزاولها الاطفال والشبان والرجال الذين لا تتجاوز أعمارهم الخمسين سنة . ووقتها من بعد صلاة الصبح مباشرة الى قبيل طلوع الشمس .

وميادينها : ميدان القوة ، وميدان الحياة ، وميدان كذا .. وكذا ...

ويلاحظ أنه يحسن أن تكون هذه الميادين قريبة من المساجد ، وتؤدى هذه التمارين الرياضية بواسطة خبراء مختصين لذلك ، ولا يشترط لها لباس خاص باستثناء طلاب المدارس ، إذ الغرض منها المحافظة على جسم المسلم نشيطًا حيويا بعيدا عن الترهل المقعد عن النشاط والحركة الخفيفة ، وعن السمن

الباعث على الخمول والكسل مما قد يعوق عن اداء فريضة الجهاد في سبيل الله .

تنبيهـان :

١ – ألعاب الرماية والعدو وسباق الخيل وقيادة الدراجات والسيارات والدبابات والطائرات تجري في ملاعب الجيش ، وتحت خبراء من رجاله ، وتصرف جوائز الفائزين من ميزانية الجهاد مباشرة .

٢ – ليعلم كل مواطن أن الغرض من مزاولة هذه الرياضات هو إعداد الجسم إعدادا صالحا لأداء فريضة الجهاد ، قادرا على تحمل أعبائها ، وما الجهاد الا عبادة من سائر العبادات ، وعليه : فلا يصح أبدا أن يتسبب أي نشاط رياضي في أية معصية لله تعالى ولرسوله ﷺ بحال من الأحوال : لا بقول ولا بفعل ، وعلى طالب الرياضة أن يباشرها بنية التقرب الى الله تعالى بحفظ جسمه صالحا للجهاد .

ومن هنا لم يكن من داع لأن تزاول المسلمة هذه الانواع من الرياضات لسقوط فريضة الجهاد عنها ، اللهم الا مـا كان من العاب خفيفة مريحة في أفنيـة مدارس البنـات الصغيرات اللائي لم تتجاوز أعمارهن التاسعة من السنين .

وبقراءة هذين التنبيهين كنا قد فرغنا من تصفح المخطط الذي ناولنا سيادة المدير العام ، واكتفينا بذلك عن السؤال حيث عرفنا ما أردنا معرفته ، ورددنا النسخة المعطاة لنا ، وودعناهم شاكرين .

خرجنا من الملعب ، ونحن نفكر في زيارة مرفق آخر من مرافق هذه الأمة المسلمة العظيمة ، واقترحت على صاحبي أن أزور أحد المصانع فقال لي : كيف السبيل الى ذلك؟ فقلت نسأل أحد هؤلاء التجار القائمين على متاجرهم ، وفعلا وقفنا على بائع أقمشة ، وسلمنا فرد السلام وقلنا : هل لكم أيها الأخ أن تدلونا على أحد المصانع أو المعامل القريبة من مكاننا هذا؟ فقال : نعم ، وإن أقرب معمل منكم الآن هو معمل الأحذية النسائي ، فقلنا : وهل يسمح بزيارته؟ فقال : نعم . وما المانع ، وأنتما غريبان لكما حق الزيارة لكل مكان في البلاد . وما عليكما إلا أن تركبا سيارة أجرة من هنا ، وهي توصلكما الى المعمل في بضع دقائق ان شاء الله تعالى ، فشكرناه ، وانصرفنا .

المعمل :

وأثناء سيرنا قلنا للسائق : هل في الإمكان زيارة معمل الأحذية النسائي والتعرف على مجاري الأعمال فيه؟ فأجاب أن

نعم ، وذلك بواسطة مدير العمل الذي يديره بواسطة زوجه ، فإذا اتصلتما به ، وطلبتما منه ذلك ، فسيلبي طلبكما ويطلعكما على كل ما ترغبان في معرفته .

وبعد دقائق ، وصلت بنا السيارة الى باب المعمل ، فنزلنا شاكرين للسائق ظرفه وملاطفته لنا ، وقرأنا على باب المعمل العبارة التالية :

هذا معمل الأحذية النسائي . رحم الله عبدا عمل عملاً فأتقنه .

وكان على باب المعمل حارس ، فطلبنا منه أن يستأذن لنا مدير المعمل للدخول عليه ففعل ، ودخلنا فسلمنا ، فردّ السلام ، واستجلسنا ، وأمر لنا بكوبي لبن فشربنا . وسأله صاحبي قائلاً : إن لنا رغبة في التعرف على هذا المعمل ، فهل لسعادتكم أن تعرفونا ببعض الانتاج فيه ؟ فقال : نعم . وأردف قائلا : ان هذا المعمل هو أحد معامل الدولة التي تنشئها في كل مدن البلاد ، وبقصد سد حاجة الأمة من كل ما تحتاج إليه من جهة ، وبقصد تشغيل الأرامل واللاتي لا عائل لهن من زوج أو ولد . فهذا المعمل خاص بإنتاج الاحذية ، وهناك معامل أخرى في مختلف الصناعات الخفيفة قد أعدت خصيصًا لتشغيل النساء الراغبات في العمل لحاجتهن الى ذلك .

وأخذ يصف لنا المعمل فقال : إن هذا المعمل ينقسم إلى قسمين ، يفصل بينهما جدار خشبي ، أحد القسمين للرجال

والآخر للنساء ، ولكل قسم أبوابه الخاصة به للدخول والخروج . ويدار القسم النسائي بواسطة خبيرة ماهرة تكون في الغالب زوجًا للمدير العام للمعمل .

وفي القسم الثاني من المعمل يجري العمل في كل ما لا يتطلب مهارة فائقة ولا جهدًا كبيرًا ، وما يتم من العمل في القسم النسائي يحول الى قسم الرجال بواسطة نوافذ وفتحات خاصة بالجدار الفاصل بين قسمي المعمل لإتمام العمل وإخراجه نهائيًا ، فالقسمان يكمل أحدهما الآخر .

وهنا قاطعت المدير قائلاً : كم عدد العاملات في هذا المعمل؟ فأجابني قائلاً : قرابة الثلاثمائة عاملة لا غير ، وهي نسبة – كما ترى – هابطة ، وذلك لعدم رغبة المرأة المسلمة في العمل خارج منزلها ، ولولا الضرورة لما وجد هذا العدد من النساء العاملات في هذا المعمل .. وأضاف قائلاً : وأغلب هؤلاء العاملات من متخرجات المعاهد المهنية فقال زميلي : سبحان الله ، وهل هناك معاهد مهنية للبنات عندكم؟ قال : نعم ، وعلل إجابته قائلاً : إن البنت عندنا تدرس منهجا تربويا تعليميا خاصًا لمدة أربع سنوات ، تبتدىء بالسادسه من عمر البنت ، وتنتهي بالعاشرة منه ، تدرس خلالها الضروري من أمور الدين وما يكفيها من التربية وما يهذبها من الأخلاق ، ثم تغادر المدرسة ، وهي لا تحمل شهادة مدرسية قط .. ولكنها

تحمل فقهًا في الضروري من دينها وصلاحها في نفسها ، وتهذيبها في شعورها وسلوكها .

ومن كانت من أسرة فقيرة ، أو كانت دميمة لا يرغب في الزواج منها عادة ، وأرادت أن تتعلم مهنة قد تحتاج إليها في مقبل حياتها ، فإنها تلتحق بأحد المعاهد المهنية للبنات لتدرس به ثلاث سنوات المهنة التي تختارها طبعا مع برنامج علمي تربوي يزيد في علمها ، وتهذيب نفسها .

فاذا اتمت ثلاث سنوات ، كان لها الحق في الالتحاق عاملة بأحد هذه المعامل التي اعدت خصيصًا لتشغيل مثلها من البنات الراغبات في العمل ، وقاطعت كلامه قائلاً : انه بناء على ما ذكرتم يا سعادة المدير ، إن البنت عندكم لا تدرس دراسة تؤهلها لأن تكون كاتبة أو حاسبة في مصالح الحكومة ودوائرها ، أو في مكاتب المؤسسات والشركات الوطنية . قال : نعم ، ومعاذ الله أن يكون مثل هذا ، إنه يا أخي وبلا شك مسخ للمرأة المسلمة وتعذيب لها ، بل هو الوأد لحياتها ، ثم اردف قائلاً : ولم تُعرَّض المرأة المسلمة لمثل هذا؟ أمن أجل لقمة العيش أم لأجل أن تفسد عليها دينها ، أم لتفسد على الرجال دينهم؟ وأي قيمة للحياة اذا فسد الدين دينها ، وعاش الناس بلا دين مقطوعي الصلة بالله هابطين الى قذر هذه الحياة ، لا هَمَّ لهم إلا الكسب المادي والجري وراء الشهوات ؟

إن عملاً كالذي ذكرت – يا أخا الاسلام – قد يوجد في مجتمعات لا تدين بالإسلام ، أما في أمة تدين بالإسلام ، وتعيش على مبادئه كهذه الأمة ، فهيهات هيهات أن يسلك هذا المسلك المنافي للكمال الذي تعيش له أمة الاسلام وتدعو اليه .

وشيء آخر – يا أخي – وهو أن العمل لكسب العيش عندنا ، إنما هو وسيلة لعبادة الله تعالى وطاعته ، فإذا كان يؤدي إلى معصية الله تعالى ، وترك طاعته ، فإنه لا خير فيه ، ووجب تركه ، وتحتم تجنبه ، وإلا كنا كمن يضيع الغاية بالحرص على الوسيلة ، وهو منتهى الحمق والخطل في الرأي .

وواصل حديثه قائلاً : ان للنساء عندنا مكانة ، ولهن بيننا حرمة عظيمة . فكيف نعرض شرف المرأة المسلمة للضياع ، أم كيف نقدِّم طهرها وقداستها للابتذال والامتهان .

إن النساء شقائق الرجال وأمهات الأشبال ، وإن عملهن في المنازل أعظم فائدة من خارجها ، وما تقدمه المرأة للرجل في البيت من خدمة لا يمكن أن يعوض بشيء أبدًا .

ومن هنا كلنا نمقت كل عمل يرمي الى المساس بشرف المرأة ، أو يعرضها للمهانة والاحتقار . كما نمقت كل حركة تهدف إلى إخراج المرأة عن طبيعتها لتصبح سلعة رخيصة يسومها ويطمع فيها فقراء الإيمان والدين والأخلاق من همَّل الرجال وضيَّع الشبان .

وعند هذا الحد من الكلام قال سعادته : أراني قد أطلت الحديث معكما أيها الأخوان على حساب العمل ، فأرجو أن تعذراني إن عدت إلى عملي ، واستودعنا الله تعالى وانصرف الى عمله . وقبلنا وداعه ، وانصرفنا نحن الى وجهتنا مغادرين المعمل عائدين الى المنزل ، وقد تملكنا شعور غريب من جراء الدرس الذي لقننا إياه مدير المعمل بحديثه عن المرأة وتعلمها وعملها في هذا البلد الإسلامي العظيم ، وأصبحنا نشعر بأن ما عليه بلادنا ليس بشيء ، وأن الإسلام ليس هو الذي عليه قومنا ، إذ ما من يوم يمضي علينا في هذه البلاد إلا وينكشف لنا جديد من حياة هذه الأمة المسلمة بحق ،فنرى معه بوضوح مدى بعد اخواننا وبلادنا عن الإسلام ، وهم يدعونه ، ويزعمون أنهم مسلمون .

وبينما نحن في طريقنا الى المنزل ، إذا بأذان الظهر يرتفع عاليًا بصوت شجي ، ينطلق منحدرًا من سماعات معلقة بأعمدة الكهرباء ، كأنما ينحدر من علياء السماء ، وما إن فرغ المؤذن من أذانه حتى وقفت الحركة نهائيًا ، فوقفت الحافلات وسيارات الشحن والسيارات الصغيرة : كل واحدة بمكانها الذي أدركها الأذان ، وهي سائرة عليه ، وذلك عند آخر كلمة قالها المؤذن وهي كلمة لا إله إلا الله .

وانطلق الناس إلى مساجد الأحياء زرافات ووحدانًا ،

فاستحال المنظر الى مظاهرة عظمى لم نشهد مثلها طول حياتنا ، وبعد دقائق معدودات أقيمت الصلاة وتمت ، وخرج الناس من المساجد متدفقين كالسيول العارمة ، وعادت الحياة حياة العمل كأحرِّ ما تكون الحياة وأقواهـا حركة ونشاطا وحيوية . فأخذ هذا المنظر من نفوسنا مأخذا عظيماً ، وقلنا : هذه هي أمة الإسلام التي كنا نسمع عنها ونقرأ ، ولا نراهـا ، فقد رأيناها اليوم ، وعشنا معها في بلادها ، والحمد لله .

وقضينا يومنا وليلتنا بين المنزل والمسجد ، ولما أصبحنا ، وأصبح الملك لله عزمنا على زيارة مرفق آخر من مرافق حياة هذه الامة المسلمة ، ووقع الاختيار هذه المرة على زيارة الثكنة العسكرية .

الثكنة العسكرية :

وبعد ساعة من الزمن كنا بباب ثكنة عسكرية كبيرة للجيش الاسلامي قد كتب على لوحة جميلة فوق بابها بخط كوفي جميل العبارات التالية :

ثكنة الجيش الكبرى

رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها .

من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو ، مات على شعبة من نفاق .

وكل عبارة من هذه العبارات قد كتب في سطر خاص بها ، واستأذنا في الدخول ، فأذن لنا ودخلنا ، وقابلنا في غرفة الأركان أحد قادة الجيش الاسلامي ، وحيَّانا ورحب بنا ، وأجلسنا على كرسي مقابل له ، ودار بيننا الحديث التالي :

القائد : هل للأخوين من حاجة ، فنسارع إلى قضائها ؟

نحن : نعم ، وشكر الله لك يا سعادة القائد .

القائد : ما حاجتكم ، والله أسأل أن يوفقني لقضائها :

نحن : حاجتنا - أيها القائد المحترم - معرفة بعض أنظمة الجند وقوانين التجنيد ، وأهداف الجيش ، وطريق تدريبه وتسليحه ، وما الى ذلك من كل ما يتعلق بالجيش الوطني لديكم .

القائد : حاجتكم مقضية ان شاء الله تعالى غير أن هناك أسرارًا للجيش لا يطلع عليها سوى هيئة أركانه وقيادته العليا . بيد أنه في الأمكـان أن تعرفا أكثر ما ترغبون في معرفته بواسطة كتاب : النظام العام للجيش الاسلامي .

واستحضره بواسطة أحد الضباط ، وناولنا إياه قائلا : تفضلا فاقرآ ، فإذا فرغتما منه ، رداه إلينا .

وعلى كرسي حجري في حديقة الثكنة الداخلية ، جلست مع صاحبي نقرأ الكتاب الحاوي لكل أنظمة جيش هذه الدولة الإسلامية ، وبعد ساعة فرغنا من قراءته ، ورددناه ، وودعنا القائد وصحبه من الضباط شاكرين . وانصرفنا ، وقد ارتسم

كل ما في ذلك الكتاب في نفوسنا من شدة تأثرنا وإعجابنا لما حواه من الأنظمة الدقيقة والقوانين الصالحة الحكيمة حتى أنه أمكننا إملاؤه كاملا ساعة عودتنا الى المنزل ، ولم نسقط منه عبارة واحدة ، فقد كان غلاف الكتاب ذا ثلاثة الوان : أبيض وأخضر وأحمر ، كأنما روى فيه قول من قال :

بيض صنائعنا ، خضر مرابعنا ، حمر مواقعنا ...

قد كتب على غلافه بحروف سوداء بخط عربي جميل الجملة الآتية :

النظام العام للجيش الاسلامي

وجاء في الصفحة الأولى ديباجة قصيرة في نحو خمسة أسطر ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . وبعد . فأداءً لفريضة الجهاد ، وتنفيذًا لامر الله تعالى في قوله : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) [الأنفال : ٦٠] وحماية لبلاد المسلمين ، وعقائدهم وأرواحهم وأموالهم وأعراضهم ، أنشىء الجيش الإسلامي ، وسُلِّح بأحدث الأسلحة ، ودُرِّب على احسن أساليب القتال وأجداها واكبرها أثرًا في الحرب وفعاليته ،

والله ولي الأمر وإليه المصير ، ونعم المولى هو ، ونعم النصير ، وجاء في الصفحة الثانية العنوان التالي :

محتوى هذا الكتاب

يحتوي هذا الكتاب على ثلاثة فصول وخاتمة :

الفصل الأول : في هيئة الدفاع ، وفيه ثلاثة بنود :

البند الأول : في وجوب الدفاع :

إن الدفاع عن أرواح المسلمين وأموالهم وأعراضهم وعقائدهم واجب محتم بالكتاب والسنة ، قال تعالى : (قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا) [آل عمران ١٦٧] وقال عز من قائل : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرنَّ الله من ينصره ، ان الله لقوي عزيز) [الحج ٤٠] وقال تعالى : (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين .) [البقرة ١٩٠]

وقال رسول الله ﷺ : «من قتل دون ماله ، فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه ، فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله ، فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه ، فهو شهيد» .

البند الثاني : في هيئة الدفاع العليا :

هيئة الدفاع العليا تتكون من وزير الدفاع الذي هو أحد

اعضاء مجلس الدولة الاعلى ، ومن قائد القوات المسلحة العام ، وهو عضو كذلك في مجلس الدولة ، ومن أركان حرب ، ومن نائب لكل واحد من المذكورين .

البند الثالث : في ارتباط هيئة الدفاع بمجلس الدولة بحكم كون وزير الدفاع والقائد العام للجيش الاسلامي عضوين في مجلس الدولة الاعلى ، فإن هيئة الدفاع مرتبطة بمجلس الدولة الاعلى بطبيعة الحال .

وبناء على هذا فإنه ليس لهيئة الدفاع أن تتخذ أي قرار يتعلق بشأن الدفاع في السلم والحرب على حد سواء إلا بعد عرضه على مجلس الدولة الأعلى ومناقشته وإقراره ، ومن هنا فليس لوزير الدفاع ولا لقائد القوات العام أو أركان حرب أو غيرهم من قادة الجيش وضباطه أن يصدر أمرًا إلى الجيش ، أو إلى بعض ألويته أو كتائبه بالتحرك لقتال ما إلا بعد إبراز قرار مجلس الدولة الأعلى الموقع من إمام المسلمين وحاكمهم ، ومن لم يكن له ذلك فليس لأفراد القوات المسلحة طاعته وامتثال أمره بحال من الأحوال .

الفصل الثاني في التجنيد وفيه ثلاثة بنود :

البند الأول : في وجوب التجنيد .

يجب على كل شاب مسلم بلغ الثامنة عشرة من عمره أن

ينخرط في سلك الجندية لقضاء عامين في التدريب على فنون الحرب ، ووسائل القتال حتى يحذقها ويصبح قادرًا على استخدامها بمهارة ، وذلك لامر الله تعالى بالجهاد في قوله :

(وجاهدوا في الله حق جهاده) [الحج ٧٨] ، وقوله عز وجل : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) [التوبة ١١١] .

وقول الرسول ﷺ : «من مات ولم يغزُ ولم يحدِّث نفسه بالغزو ، مات على شعبة من نفاق» .

ولما كان الجهاد لا يتم إلا بمعرفة وسائله وإعدادها ، فإنه يتعين على كل شاب مسلم أن ينخرط في سلك الجيش لمعرفة وسائل الجهاد ، وعلى الدولة أن تعدها له ، وتدربه عليها .

البند الثاني : في هيئة التجنيد ومهمتها .

تتكون هيئة التجنيد من نائب عن قائد القوات المسلحة ، وآخر عن أركان حرب ، وعضوين آخرين : أحدهما طبيب من وزارة الصحة ، والثاني قاض من وزارة العدل ، وتسمى هذه الهيئة بهيئة التجنيد العليا .

ومهمتها : استعراض المواليد لكل سنة ، وإصدار الأوامر باستدعاء البالغين السن القانونية للتجنيد الى مراكز التدريب حيث يختبرونه صحيا ، ويلحقونه بالتدريب العام .

البند الثالث : في مراكز التدريب .

ينشأ في كل ولاية من ولايات الدولة مركز مجهز بكامل الآلات والأدوات الخاصة بالتدريب العسكري لتدريب شباب الولاية ليصبح قادرًا على أداء فريضة الجهاد متى دعي اليهـا . أو تعينت عليه .

الفصل الثالث في استخدام القوى الدفاعية :

وفيه مادتان :

المادة الأولى : في الإذن باستخدامها :

لا يسمح ان تستخدم القوات المسلحة بحـال من الاحوال إلا بإذن صريح يوقع عليه إمام المسلمين وأعضـاء مجلس الدولة الاعلى ، وذلك لأن الجهاد لا بد فيه من أمر إمام المسلمين ، والقوات المسلحة لا تستخدم إلا في الجهاد الشرعي الذي أذن الله تعالى فيه بقوله : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) [الحج ٣٩] .

وبقوله : (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى ، فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) [الحجرات ٩] .

المادة الثانية : في الحالات التى تستخدم فيها القوات المسلحة :

تستخدم القوات المسلحة بإذن إمام المسلمين ومجلس الدولة الاعلى كما نص على ذلك البند الأول من هذا الفصل ، ولا تستخدم إلا في الحالات التالية :

١ – إذا اعتدي على أرض الدولة الاسلامية أو بحارها ، أو اجوائها .

٢ – إذا اعتدي على رعايا الدولة الاسلامية وغيرهم من أهل الذمة والحماية ، وسواء كان الاعتداء على الارواح والاموال ، أو على الاعراض والاديان .

٣ – في إخضاع العصابات المسلحة من أهل الحرابة وقطاع الطرق ممن يخيفون السبيل ، ويروعون الآمنين بالسطو على الأموال ، وإزهاق الأرواح داخل أرض الدولة الإسلامية .

٤ – في قتال البغاة ، وهم الجماعة يخرجون على إمام المسلمين ودولته ، ويشقون عصا الطاعة رغبة في الحكم وحبًا في التسلط ، فيقاتلون بموجب مادة قتال أهل البغي في باب القضاء في الدستور الاسلامي .

٥ – في قتال من صد عن الإسلام ، أو اعترض طريق نشر هدايته بين العالمين .

ويعد في هذه الحالات الخمس قتالا شرعيًا ، ويعد أهله مجاهدين في سبيل الله تعالى ، ومن مات منهم مات شهيدًا ،

ومن عاش عاش عزيزًا كريمًا ، وذلك لقول الله تعالى في الأولى والثانية : (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما أعتدى عليكم) [البقرة : ١٩٤] وقوله : (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) .[البقرة : ١٩٠]وقوله في الحالة الثالثة : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) . [المائدة : ٣٣].

وقوله في الحالة الرابعة : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) [الحجرات ٩] .

وقوله في الحالة الخامسة : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) [الانفال ٣٩] . وقوله : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) [التوبة ٢٩] .

الخاتمة وتشمل على أحد عشر تنبيهاً :

١ – تقام صلاة الجماعة بين سائر أفراد القوات المسلحة ، وذلك في الحرب والسلم على حد سواء .

٢ – تقام أربع محاضرات أسبوعية بين كافة القوات المسلحة في ثكناتها ومراكز تدريبها ، يلقيها علماء مختصون في التربية الروحية ، وفنون الحرب ، واستخدام الاسلحة وألوان الدفاع ، وفي كل ما يجد في فنون الحرب وأسلحتها تحصيناً للقوات المسلحة من تسرب الضعف الروحي والمادي اليها ، وإبقاءً على قدرتها وكفاءاتها صالحة للجهاد .

٣ – يبنى في كل مركز للجيش وثكنة مسجد جامع ، يتسع لكافة أفراد المركز أو الثكنة ، ويزود بمكتبة عامة يختار لها أنفع الكتب للمجاهد المسلم .

٤ – رسميًا يكون للجندي المسلم زي خاص به ، وشعار يميزه عن غيره من جنود الكفر والضلال .

٥ – لزامًا يكون في كل ثكنة هيئة قضائية تقضي بين أفراد القوات المسلحة فيما يشجر بينهم ، وتصدر أحكامها وفق شريعة الله وتنفذ فور صدورها .

٦ – يبتدىء كل تدريب عسكري أو رياضي لأفراد الجيش بعد صلاة الصبح مباشرة ، وتصلىّ صلاة الصبح في أول وقتها دائما ، ولا تتأخر .

٧ – يصح استخدام بعض القوات المسلحة أيام السلم في مصانع الدولة وسائر منشآتها المختلفة استغلالاً للطاقات المتوفرة لدى القوات المسلحة على شرط عدم إنهاك قوى الجندي في

العمل ، فلا يخرج العمل عن كونه رياضة بدنية لا غير .

٨ - يمنح الجندي المتزوج إجازات نصف شهرية بعد كل أربعة أشهر ، وهي مدة الإيلاء المقررة في القرآن العظيم .

٩ - الجندي ذو الأولاد والزوجة يعطى معاشًا لزوجه وأولاده بالمعروف .

١٠ - لا يقبل أهل الذمة في الجيش كيفما كانت ثقافتهم وقدراتهم الحربية ، لقول الرسول ﷺ : «إنَّا لا نستنصر بمشرك» ولا يجوز أن يطلعوا على أسرار الجيش ، كما لا تسند إليهم وظائف تتعلق بالدفاع أبدًا .

١١ - يمنع قطعا وجود آلات لهو أو غناء بين الجنود . وأوقات الفراغ تعمر بالتعليم والعبادات والقرب الشرعية ، لأن الجندي في عبادة ما دام في سلك الجندية .. وعليه فلا معنى للهو واللعب في صفوفه وبين أفراده . وبعد قراءتنا لما حواه «النظام العام للجيش الإسلامي» وما اشتمل عليه من فصول وبنود تفيض بالحيوية والقوة ، أيقنا أن هذه الأمة جديرة بالاحترام .

ونظر الينا القائد ، وعرف تأثرنا فقال : ان الكتاب قد لا يعطي الصورة الحقيقية للواقع الذي ترجمه ، فهل لكما أن تتجولا معي في بعض منشآت الجيش ؟ فقلنا : نعم ، ولا أحب الينا من ذلك . فقال : على بركة الله ،

وركب سيارة وركبنا معه ، وبعد ساعة كنـا بباب مصنع كبير لإنتـاج الأسلحة الثقيلة ، ودخلنا المصنع ، وتجولنا في ورشه المختلفة ، ووقفنا على أنواع كثيرة من الأسلحة التي تصنع في تلك الورش التي يحويها ذلك المصنع الهائل الكبير .

وعدنا إلى الثكنة التي انطلقنا منهـا ، وقد حان وقت صلاة الظهر ، فأذن المؤذن ، وتقاطر الجنود من كل نواحي الثكنة وتلاحقوا فامتلأ بهم المسجد واكتفى ، وأقيمت الصلاة فصلينا ، وعند انصرافنا مال بنا القائد الى مكتبة المسجد الملاصقة لجداره الغربي ، وإذا بها مكتبة فاخرة ذاخرة بأنواع الكتب العلمية القيمة النافعة ، واذا بنظارها والقائمين عليها يناولون كل طالب مطلبه ، ويتقبلون من كل راد ما رده ، وذلك في نشاط كبير وأدب رفيع . وبزيارتنا للمصنع والمسجد والمكتبة ، أيقنا أن ما حواه الكتاب الذي طالعناه عن نظام الجيش الاسلامي كـان حقـا وصدقـا ، وكان نظاما مطبقا واقعا وفعلا .

والآن نودع سعادة القائد وننصرف ...

وبعد صلاة الغداة من اليوم التالي ، ونحن نتناول طعام الفطور قلت لصاحبي : ما هي وجهتنا اليوم؟ فسكت صاحبي ، ولم ينبس ببنت شفة ، ولعله قد سئم من كثرة الزيارات التي قمنا بها لتلك المرافق المختلفة في هذه الدولة الإسلامية فقلت له :

مالك لا تجيب ؟ فقال : ما أرانا في حاجة إلى زيادة التعرف على ما في هذه البلاد ، فإن ما رأيناه كافٍ في الاستدلال على صحة ما جاء في دستورها من قواعد الكمال البشري ودقة النظام الاسلامي وعظمة الدولة الاسلامية . فقلت : هذا صحيح ، ولكنه غير مانع من زيادة الوقوف والتعرف على مرافق هذه الدولة المثالية ، فقال لي صاحبي ، وهو يبتسم : فليكن ما تريد .

وعزمنا هذه المرة على زيارة وزارة المال والاقتصاد .

وزارة المال والاقتصاد :

وأسرعت مع صاحبي حتى وصلنا الى مبنى الوزارة ودخلناه ، واستأذنا في الدخول على الوزير ، فأذن لنا ، ودخلنا عليه فسلمنا ورد السلام ، وطلب منا الجلوس على كرسي الى جانبه فجلسنا ثم قال : هل للأخوين من حاجة ؟ فقلنا : نعم ، وهي أن لنا رغبة في التعرف على النظام المالي في الدولة الاسلامية التي سعادتكم على رأس وزارة ماليتها واقتصادها . فقال بعد أن ابتسم : إن الحديث في هذا الباب يطول أيها الفتيان ، غير أني أحيلكما على قراءة النظام المالي للدولة الإسلامية ، وهو مطبوع في كتاب صغير وضعته الدولة لذلك . ومن خلال قراءته تقفون على كل ما أردتما الوقوف عليه في هذا الشأن ، وأؤكد لكما سلفا أن النظام المكتوب مطبق حرفيا ، فكما هو مكتوب على

الورق هو مطبق ومعمول به على صعيد الواقع . وأدخل يده الى درج أمامه ، فأخرج نسختين وناول كلا منا واحدة وقال : اقرآ وبعد فراغكما ردا النسختين الى فلان ، وأشار الى أحد الموظفين بمكتبه . واستأذننا في الانصراف قائلا : لقد دعيت من قبل مجلس الدولة الأعلى ، وأنا في طريقي إلى هنـاك فهـل تسمحان ايها الاخوان؟ فقلنا : نعم وفقك الله ، وانصرف وتركنـا بغرفته ، وانتحينا ناحية منها لنقرأ الكتاب الحاوي للانظمـة المالية والذي عنوانه : «النظام المالي للدولة الاسلامية» وتصفحنا الكتاب ، واذا ديباجته حرفيا ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على النبي الأمي محمد وآله وصحبه وسلم.

يعتبر الإسلام المال شيئًا محترمًا ، فهو يأمر بتنميته وإصلاحه ، وينهى عن إفساده وإتلافه ، ويحرم اغتصابه ومصادرته ، قال تعالى : (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما)[النساء ٥] . وقال عز وجل : (والـذين إذا أنفقوا لم يسرقوا ولم يقتروا ، وكـان بين ذلك قواما) [الفرقان ٦٧] . وقـال : (ويل للمطفِّفين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) [المطففين ١] . وقـال تعالى : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهمـا جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم) [المائدة :٣٨] .

وقال رسول الله ﷺ : « من اغتصب شبر أرض ، طوقه سبع أرضين يوم القيامة »

ولذا فقد وضع هذا النظام المالي للدولة ليكون حدا لا يجوز تعديه ومرجعا في هذا الشأن يرجع إليه ، إذ قد بينت فيه طرق دخل مال الدولة وخرجه ، وكيفية إنمائه واستثماره ، وهيمنة الدولة عليه لمراقبته ، والحيلولة دون إنفاقه فيما يضر من معاصي الله تعالى ومعاصي رسوله ﷺ . أو فيما هو خارج عن مصلحة البلاد والدولة والأمة وتلك آخر كلمة في الديباجة .

وأما محتوى الكتاب بعدها ، فإنه قد وضع في الصفحة المقابلة وجاء فيه : إن هذا النظام المالي للدولة قد أثبت في ثلاثة فصول وخاتمة . وفي الصفحات الآتية تفصيل ذلك .

الفصل الأول

في حرمة ، وكيفية دخله وهيمنة الدولة عليه

وفيه بندان :

البند الأول : في طرق دخل مال الدولة .

ميزانية الدولة التي هي بيت مال المسلمين تتكون من الأموال المجموعة من الطرق التالية :

١ – من المعادن والثروات الطبيعية في أرض الدولة .

٢ – من الزكوات المفروضة في أموال المواطنين المسلمين .

٣ – من مصانع الحكومة ومنشآتها العمرانية ومؤسساتها التجارية والصناعية والفلاحية والزراعية .

٤ – من رسوم البضائع التجارية المستوردة من خارج البلاد من تجارة أهل الذمة والمعاهدين .

٥ – من تبرعات الاغنياء ، ومن طوابع البريد ، وما الى ذلك .

٦ – من الفيء والغنائم التي يحصل عليها الجيش الاسلامي في حروبه الاسلامية المقدسة .

البند الثاني : في هيمنة الدولة على المال .

المال هو عصب الدولة وقوام حياتها ، فهي لا تكون بدونه ، ولا تقوى على أداءواجباتها بغير وجوده ، ولهذا يحق لها ، بل يجب عليها أن تهيمن عليه فتراقبه في دخله وخرجه ، وتفريقه وجمعه ، ولكن في نطاق الحق والعدل ومراعاة الحلال فيه والحرام .

فجمعه لا يكون من غير المصادر المشروعة التي أذن الله تعالى في الاكتساب منها . فلا يجمع مال الدولة ولا مال الافراد من بيع المحرمات ، ولا من الفوائد الربوية ، ولا بالاغتصاب والسرقة ، ولا بالمصادرة والتأميم غير المشروع .

كما أن صرفه يجب أن لا يكون خارجا عن دائرة مصلحة

الامة الخاصة والعامة بحال من الاحوال ، فلا ينفق المال وسواء كان مال الدولة أو مال الفرد فيما لا يحل الانفاق فيه من معاصي الله عز وجل ، اذ المال أداة نفع مشتركة بين أفراد المسلمين ، قال تعال : (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) ، وقال : (لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) . فلا يحل اذا انفاق مال الدولة أو الافراد في اسراف وبذخ ولا في تبذير ولا فيما لا يحقق مصلحة ظاهرة للفرد أو الدولة .

الفصل الثاني في إنماء مال الدولة

وفيه بندان :

البند الأول في الإنماء داخل البلاد .

تنمية أموال الدولة أمر ضروري من أجل أن يفي بجميع حاجات الدولة ومتطلباتها الكثيرة ، ومن هنا كان لا بد من ضرب الحكومة بسهم كبير في جميع الميادين التجارية والصناعية والفلاحية ، فتنشيء لها مؤسسات مختلفة صناعية وفلاحية وتجارية وذلك لتحقيق غرضين أساسيين وهما :

أولاً : تنمية أموال الدولة ، لتعطي باستمرار ، وبذلك يحفظ كيان الدولة ناميًا متطورًا قويًا .

ثانيًا : لإيجاد وظيفة وعمل لكل مواطن يتقاضى بموجبها

المخصص لإعاشة أفراد عائلته من ميزانية الدولة التي هي بيت مال المسلمين .

هذا ولكي تتمكن الحكومة من تحقيق أكبر هدف لها في إيجاد عمل لكل مواطن في الدولة يتقاضى بموجبه إعاشته وأفراد أسرته .

عليها أن تختص بجميع المرافق العامة في البلاد ، وذلك كالمعادن والثروات الطبيعية والكهرباء والماء والمواصلات .

تنبيه :

لا ينبغي أن يفهم من هذا أن للحكومة أن تحتكر جميع الصناعات والتجارات ، بل لأفراد الأمة – وبكل حرية – أن ينشئوا ما شاءوا من المؤسسات الصناعية والتجارية والفلاحية ، وعلى الحكومة أن تشجعهم على ذلك ، وما لها عليهم الا شيئان : أولهما : أخذ الزكوات المفروضة ، وثانيهما : المنظر في شؤون العمال المستخدمين لديهم بحيث لا يوظف أحد في الشركات والمؤسسات الاهلية براتب وأجر أقل مما يتقاضاه الموظف في شركات الحكومة ومؤسساتها ، اذ من أغراض الحكومة في إنشاء المؤسسات الصناعية والتجارية ايجاد عمل للمواطن يتقاضى بموجبه المخصص له في بيت مال المسلمين «خزانة الدولة» .

وعليه فإذا وجدت الحكومة مؤسسات أهلية أمينــة صالحة توظف لها أعدادا من الموظفين بقدر من المــال يسد حاجاتهم في الحياة فما عليهــا إلا مساعدة تلك المؤسسات ، وتشجيعها بما يكفل لها النمو واطراد النجــاح .

البند الثاني في تنمية مال الدولة خارج البلاد .

لا مانع – البتة – من أن تنمي الدولة الفائض من أموالهـا خارج حدود أرض الدولة ، إذ ذلك يكسبها فائدتين كبيرتين :
أولهما : دخل مستمر على خزانتهـا من خارج بلادها ، وفي ذلك ما يدعم مركزها المالي ويقويه بين الدول والحكومات .
وثانيهما : السمعة الطيبة بين الدول والنفوذ السياسي في البلاد التي تستثمر فيها أموالها الفائضة على مشاريعها في داخل بلادها .

الفصل الثاني في صرف مال الدولة

وفيه أربعة بنود :

البند الأول : في تحريم تبذير المال ، وإنفاقه في المعاصي والمحرَّمات .

لقد حرم الشرع الاسلامي تبذير المــال وإنفاقه في المعاصي والمحرّمات ، فلذا لا يحل لأي فرد من أفراد المسلمين سواء كان حاكمًا أو محكومًا ، مسؤولاً أو غير مسؤول أن يبذر

مال الله ، أو يتصرف فيه بغير حق ، سواء كـان مال الدولة العام أو مال الفرد الخاص . وعلى المخالف العقـاب ، قال تعالى : (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل)[البقرة:١٨٨] وقال : (ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) [الاسراء : ٢٧] . وقال عز وجل : (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) [الأعراف ٣١] .

البند الثاني : في تحديد التبذير والاسراف .

يعتبر الانفاق للمال تبذيرًا وإسرافًا اذا كـان :

١ – زائدًا على قدر الحاجة من طعام أو شراب أو لباس أو سكن أو مركب .

٢ – في معصية الله تعالى ومعصية رسوله ﷺ بفعل مانهيا عنه وحرماه من أكل أو شرب أو لباس أو نظر أو سماع ، أو اقتناء أو ادخار .

٣ – فيما لا يعني من المباحات بحيث لا يحقق منفعة ظاهرة للفرد أو الجماعة ، أو يدفع عنهما مفسدة أو مضرة .

البند الثالث : في مراقبة الدولة للمال .

بناء على قول الله تعالى : (ولا تأكـلوا أموالكم بينكـم بالباطل) [البقرة : ١٨٨] . وقوله : (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما) [النساء : ٥]. وقول الرسول ﷺ :

«إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ، ووأد البنات ، ومنع وهات وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال وإضاعة المال »

البند الرابع : في صرف مال الدولة وإنفاقه .

الدولة الاسلامية تتبع في توزيع مالها أوفى الطرق ، وأعدل النظم التي يمكن أن يعرفها الناس في هذا الوجود . فهي تجري إحصاءً عامًا دقيقًا لكل أفراد الأمة التي تحت ولايتها ، وفي ظل لوائها ، وعلى أساس ذلك الإحصاء ومعرفة أفراد المواطنين ، تضع ميزانيتها السنوية العامة ، فتجعل لكل فرد من أفراد الأمة مرتبًا شهريًا يكفل له الضروري من القوت .

غير أنها لا تدفع له ذلك القدر المخصص إلا مقابل عمل يقوم به للدولة ، فهي تُلزم نفسها بإحداث وظيفة لكل فرد يقدر على العمل في البلاد ليتسلم بموجبها المخصص له في خزانة الدولة « بيت المال » غير أن الدولة تراعي في هذا جانبين مهمين :

أولهما : أفراد الأسرة ، فذو زوجة وثلاثة أولاد مثلا يُعطى مرتبا شهريا على عمله الذي يقوم به ، لا يعطاه الذي لا أسرة له ، أو له أسرة افرادها أقل من أسرة الأول .

وثانيهما : ذو المنصب المهم أو العمل الشاق ينبغي أن يزاد على مخصصه بما يشجعه على الاستمرار في عمله والصدق فيه على أن لا تكون الزيادة فوق الضعفين .

وبناء على ما ذكر ، فإن مال الدولة ينفق في طريقين :
أحدهما : موظفو الدولة من إمام المسلمين إلى آخر موظف في جهاز الدولة ، ومعنى هذا أنه ينفق على كافة أفراد الأمة ، اذ ما من مواطن الا وله عمل يشغله في الدولة ، يأخذ به المخصص له في الميزانية كما تقدم .

وثانيهما : مصادر التنمية التي هي مصانع الدولة ومتاجرها ، ومزارعها ومرافقها العامة ، والتي يعمل فيها أفراد الأمة كذلك ، وبه أصبح مال الدولة كله عائدًا الى الأمة .

الخاتمة :

وفيها تنبيهات :

الأول : كون الدولة تقوم بسد حاجة كل مواطن في هذه البلاد غير مانع من أن يقدم المسلم لنفسه شيئا يجده عند ربه يوم يلقاه ، إذ الله تعالى يقول : (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرًا وأعظم أجرًا)[البقرة :١١٠].
والرسول ﷺ يقول : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » .

ولذا تعين أن ينشأ في كل مسجد من مساجد البلاد صندوقان أحدهما للبر ، والثاني للجهاد ، فيوضع الأول على يمين الداخل للمسجد ، والثاني على يساره ، وقد كتب على صندوق البر العبارة التالية :

أيها المسلم هذا صندوق البر ، يصرف ما تجمع فيه من صدقات المتصدقين على الأرامل واليتامى والمساكين من العجزة وأهل العاهات ٠ذلك تحت اشراف هيئة المسجد ، فقدم لنفسك خيرًا تجده عند [illegible] ًا واعظم أجرًا. وقد كتب على صندوق الجهاد ما يلي :

أيها المسلم أذكر أن الجهاد فريضة الله عليك ، وان الجهاد بالمال مقدم على الجهاد بالنفس ، واعلم أن الجيش الإسلامي في حاجة دائمة الى المزيد من السلاح والتطوير ، والى العديد من الرجال ، وتدريبهم وإعدادهم صالحين لخوض معارك الجهاد المنتظر والدائر الآن ، فإن واجبك أن تضع في هذا الصندوق بسخاء ما لم تكن في حاجة إليه . واعلم أن درهم الجهاد يضاعف الى سبعمائة ضعف .

الثاني : لا مانع من أن يكوِّن أهل المهنة الواحدة كسائقي السيارات والفلاحين أو الجزارين ، أو النجارين أو عمـال المصانع أو غيرهم ممن تجمعهم مهنة واحدة ان يكوِّنوا صندوقًا يطلقون عليه اسم «التأمينات الاجتماعية» . ويتبع في تكوينه القواعد والشروط التالية :

١ – النية الصالحة ، وهي : أن ينوى بذلك التعاون على البر المأمور به في قـول الله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى) [المائدة : ٢]والرحمة المذكورة في قول الله تعالى : (وتواصـوا

بالصبر وتواصوا بالمرحمة) . [البلد : ١٧] .

٢ - ان يدفع المخصص باختياره وطيب نفسه .

٣ - تساوي المشتركين في القدر الذي يدفعونه مساهمة منهم في الصندوق إلا من تبرع أ... فإنه لا حجر عليه .

٤ - ان يتساوى ... ردون فيما يعطاه أحدهم عند نزول الحادثة وإصابة المصيبة .

٥ - إذا انسحب العضو من المنظمة مللاً أو عجزًا ، ليس له أن يطالب بما دفعه في الصندوق ، لأنه دفعه بنية البر والصدقة ، فليس له أن يعود فيه لقوله ﷺ : « العائد في هبته كالعائد في قيئه » .

٦ - أن لا يستخدم المال المجتمع في الصندوق في الاعمال الربوية من أجل تنميته ، أو لغرض آخر ، ولا بأس أن ينمّى بطرق خالية من الربا جائزة التعامل كالتجارة والصناعة وغيرهما .

٧ - الهيئة القائمة على الصندوق كالكاتب والمحاسب والمحافظ يأخذون أجرة امثالهم من الصندوق مقابل اعمالهم .

الثالث : لا بأس بأن توقف الأوقاف الخيرية على مثل هذا الصندوق الخيري التعاوني ، لأنه صندوق بر وإحسان . تنفق أمواله على أصحاب النوائب والنكبات ، كما لا بأس بتشجيع الحكومه له بمال من خزانة الدولة .

الرابع : ما دام المال بلغة يتبلغ بها المسلم ووسيلة يتوسل بها لسعادته في حياته الأولى والآخرة ، فإنه للمسلم في هذه البلاد أن يوقف ويحبس ما شاء من دور وضياع وآبار وعيون على المساجد أو العلماء ، والفقراء أو الجهاد ، ويسجل ذلك في كتابة العدل ، ويقدم صك ما أوقفه الى وزارة الاوقاف لتقوم برعايته وتنميته وصرفه للجهة الموقوف عليها حسب شروط الواقف .

ولما فرغنا من قراءة ما جاء في النظام المالي للدولة الإسلامية ، رأيت صاحبي ، وكأنما بدا عليه إعجاب كبير بما رأى من النظام السليم . فسألته قائلا : كيف رأيت النظام المالي في دولة الإسلام ؟

فقال : رأيت عجباً لم أرَ مثله قط ، إنه العدل والدقة والتنظيم . فقلت له : أين هذا من الأنظمة الإشتراكية التي طالما غنَّى لها وصفق المغرورون بالباطل والمخدوعون بالوعود الكاذبة ؟

فقال صاحبي وقد تنهد : إن الفرق بين هذا وذاك كما بين الأرض والسماء ، والسعادة والشقاء . فقلت : إذًا هيا بنا نواصل زيارتنا إلى كل مرفق من مرافق الدولة الإسلامية ، لتخرج بصورة واضحة عنها ، وحتى يمكننا أن نبشر بها ، وندعو المسلمين إلى الأخذ بقانونها ، ليسعدوا بسعادتها ، ويفوزوا بالكمال الذي فازت به في هذه الحياة الدنيا .

وقال لي صاحبي : إلى أين تريد أن تذهب الآن ؟ فقلت : إلى محافظة المدينة ، فإنه من المهم جدًا أن نعرف نظام المحافظة المعمول به في هذه البلاد الإسلامية ، فقال : وليكن ذلك .

فقلت : على بركة الله وسرنا بخطى سريعة . .

المحافظة :

ووصلنا الى دارها وكانت قريبة من منزلنا ، فدخلناها ، واستأذنَّا على سعادة المحافظ ، فأذن لنا ، فدخلنا وسلمنا فرد السلام ، وكان رجلاً مهيبًا قد تخطى الأربعين من عمره ، له لحية كثة سوداء تضرب الى صدره ، وقد اعتم بعمامة لم تر العين أحسن منها ، ولا أجمل منها ، وبيده نسخة من دستور الدولة الإسلامية ، كأنه يطالعها أو يبحث عن شيء فيها ، وما إن تبادلنا التحية حتى رحب بنا واستجلسنا ، فجلسنا على مقربة منه . وسألنا قائلاً : هل للأخوين حاجة تقضى ؟

فقلنا : نعم ، ومثلكم يفعل بإذن الله . فقال : ما حاجتكما ؟ فقلنا : رغبة في الاطلاع على نظام البلديات عندكم ، وطرق إدارة المدن والقرى في ظل الدولة الإسلامية التي ترفرف عالية في سمائها راية لا إله إلا الله محمد رسول الله . فقال : ستحقق رغبتكما إن شاء الله تعالى ، ونادى أن يا ابراهيم بن أحمد ، فأجابه مسرعًا : لبيك : فقال : ناولني نسختين من نظام إدارة

المدن والقرى في أقاليم الدولة ، فدخل إبراهيم مكتبًا مقابلاً ، فأخرج نسختين ، فقال له المحافظ : ناول كلا من الأخوين نسخة ففعل .

وانتحينا ناحية من مكتب المحافظ ، نقرأ الكتاب الذي قدم الينا ، وإذا قد كتب على غلافه بحروف جميلة العبارة التالية :

نظام إدارة المدن والقرى في أقاليم الدولة

وفتحنا الكتاب فاذا ديباجته ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين ، وبعد :

هذا نظام إدارة المدن والقرى في داخل أقاليم الدولة الإسلامية ، قد أعد من قبل علماء الشريعة الإسلامية ، ووافق عليه إمام المسلمين ومجلس مشورته موافقة إجماعية ، حيث كل بنوده كانت مستمدة من الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وقد أصبح العمل به حتمًا محتمًا ، وعلى المجالس المدنية ومحافظي المدن ، ومشايخ القرى أن يعملوا بموجبه ، ومن رأى أن بندًا من بنوده يتنافى مع آية من كتاب الله تعالى ، أو سنة من سنن الرسول ﷺ الصحيحة ، أو قضاء من أقضية أصحابه رضي الله عنهم ، فليدفع ذلك إلى مجلس الدولة الأعلى ليحال إلى

هيئة التشريع للتحقق مما رأى ، ومتى تبين أنه الحق وجب أن يرجع إليه وأن يثبت ، هذا هو النظام ، ويجري العمل بـه فور إقراره ، اذ الحق أحق أن يتبع ، ولا هدى إلا هدى الله ، وما الحكم إلا حكمه ، وهو ولي الأمر والتدبير .

صدر هذا النظام ، وتم التصديق عليه من قبـل إمام المسلمين ومجلس الدولة الأعلى بتاريخ كذا ..

وجاء في الصفحة المقابلة لصفحة الديباجة ما يلي :

يحوي هذا النظام تسعة أبواب :

الباب الأول : في تكوين المجلس المدني .

الباب الثاني : في بيان مهمة المجلس المدني .

الباب الثالث : في تكوين مجلس الحسبة .

الباب الرابع : في تكوين مجلس القضاء .

الباب الخامس : في تكوين المجلس المالي .

الباب السادس : في تكوين مجلس التعليم .

الباب السابع : في تكوين هيئة الإصلاح الإجتماعي وبيان مهامِّها .

الباب الثامن : في تكوين المجلس الصحي وبيان مهامِّه .

الباب التاسع : : في الجمعيات التعاونية .

وجاء في الصفحات التالية من الكتاب تفصيل تلك الأبواب بابًا بابًا .

الباب الأول : في تكوين المجلس المدني .

يدير المدينة ، أو مجموعة القرى المتجاورة مجلس يطلق عليه اسم المجلس المدني ، ويتكون أعضاؤه من ذوي الخبرة في كل شأن من شؤون الدولة بحيث يكون كل عضو فيه نائبًا عن مدير من مديري المصالح الحكومية .

فرئيس المجلس يكون نائبًا عن والي الأقليم ، ورئيس الحسبة «الشرطة» يكون نائبًا عن مدير الأمن العام في الإقليم ، ورئيس المحكمة والقضاء يكون نائبًا عن مدير العدل في الإقليم ، وهكذا حتى يكون المجلس المدني صورة مصغرة من المجلس الإقليمي الذي هو صورة من مجلس الدولة الأعلى .

الباب الثاني : في مهمة المجلس المدني .

مهمة المجلس المدني تنحصر في أمرين :

أولهما : البحث في كل ما يرفع شأن المدينة ، ويحقق لها الخير والصلاح والتعاون على ذلك بعرض كل عضو للمسائل التي تدل على مصلحته واستشارة أعضاء المجلس فيها والأخذ برأيهم في ذلك .

وثانيهما : أن كل عضو في المجلس يرأس مصلحة خاصة

من مصالح الدولة في المدينة ، وبناء على هذا فستتفرع عن المجلس المدني المجالس الآتية :

١ – الحسبة « الشرطة » .

٢ – القضـــاء .

٣ – المالية .

٤ – التعليم .

٥ – الإصلاح الاجتماعي .

الباب الثالث : في تكوين مجلس الحسبة وبيان مهامها .

تتكون هيئة الحسبة من رئيس يدعى رئيس هيئة الحسبة « الشرطة » ، ويشترط فيه أن يكون عالما بالشريعة ، ذا تقوى وكفاية . ومن أعضاء عاملين يساعدونه على تسيير أعمال الهيئة ، ويوضع تحت تصرف هذه الهيئة عدد من الرجال الاكفاء يقلون ويكثرون بحسب سعة المدينة وضيقهـا يقومون بمهمة الحسبة والتي هي :

١ – المحافظة على الأمن والنظام داخل البلد .

٢ – تنظيم السير في البلد والإشراف عليه .

٣ – تنفيذ الأحكـام الشرعية التي تصدرها المحكمة على المواطنين .

٤ – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في البلد وبين المواطنين .

فيأمرون بكل معروف يرونه قد ترك بين الناس وينهون عن كل منكر يرونه قد ارتكب بين المواطنين . وذلك لقول الله

تعالى : (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) [عمران : ١٠٤] .

الباب الرابع : في المجلس القضائي .

يتكون في المدينة الواحدة أو في مجموعة القرى المتجاورة محكمة قضائية تضم رئيسًا وعددًا من القضاة يساعدونه على إصدار الأحكام الشرعية في القضايا التي يرفعها المواطنون إلى المحكمة للنظر فيها والحكم .

وذلك لقول الله تعالى : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) [الحديد : ٢٥] .
وقوله تعالى : (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) [النساء : ٥٨] .

الباب الخامس : في المجلس المالي :

يتكون من كل مدينة أو مجموعة القرى المجاورة مجلس مالي «هيئة» يضم رئيسًا للصندوق وكاتبًا وحاسبًا وجباة ، تودع فيه أموال الدولة للجمع والصرف ، يطلق عليه اسم فرع بيت المال ، ويكون مرتبطًا بوزارة المالية وببيت مال الدولة .

الباب السادس : في مجلس التعليم :

يوجد في كل مدينة من مدن الدولة إدارة للتعليم ، تضم مديرًا وكتابًا وحسبة مهمتها القيام بشؤون التعليم وتنفيذ ما يرد

إليهـا من الإدارة العامة للتعليم في الإقليم من أوامر تتعلق بمهمة التربية والتعليم .

الباب السابع : في مجلس هيئة الإصلاح الاجتماعي وبيان مهامه :

يتكون مجلس هيئة الإصلاح الاجتماعي من أحد كبار العلماء بالشريعة الإسلامية رئيساً ، ومن خبير معماري، وطبيب ، ورجل اقتصادي ، وآخر اجتماعي .

ومهام هذه الهيئة هي : كافة ما يتعلق بشؤون المدينة من الناحيتين الدينية والدنيوية ، وذلك ما يلي :

١ – الإشراف على البناء والتخطيط في المدن والقرى .

٢ – النظافة العامة في المدينة والقرية سواء بسواء .

٣ – تأمين الماء والنور للمدينة والقرية وصيانتهما .

٤ – تأمين وسائل النقل وإصلاحها داخل المدينة وبين القرى .

٥ – إعداد وسائل الإطفاء والإنقاذ والقيام بذلك عند حدوثه .

٦ – الإشراف على الحفلات العامة ومراقبتها وكذا الاجتماعات العامة كالمقاهي والأندية والملاعب الرياضية والمسابح البحرية وما الى ذلك .

٧ – مراقبة الأسواق والبضائع والسلع التجارية .

٨ – مراقبة أزياء المواطنين والمواطنات وملابسهم نساءً ورجالاً ،

فلا يسمح للرجل ولا المرأة بالخروج عن آداب الزي الإسلامي المعروف .

٩ - تنظيم الزي وتوحيده للطوائف الآتية :

العلماء - الجند الحسبة - النساء - المرتاضون - الكشافة .

ففي الجند يوحد الزي مع وجود علامة فارقة بين الجندي المسلم والجندي الكافر كالطربوش بدلاً عن القبعة مثلاً ، وفي رجال الحسبة يوحد زيهم ، وتوضع لهم علامة مميزة .

والنساء تلزم المواطنة بأن تلبس درعًا سابغًا واسعًا فضفاضًا يستر قدميها ، وتتقنع بقناع يستر رأسها وعنقها بحيث لا يبدو منها إلا دائرة الوجه والكفان فقط ، هذا فيما اذا ترخصت في ذلك وإلا فانها تتلفع بمرط «ملاءة» تستر جميع جسدها من قمة رأسها الى أخمص قدمها ، وهذا هو اللائق بها .

والعلماء يوحد زيهم ويلزمون العمامة لتكون فارقًا بينهم وبين عامة الناس .

والمرتاضون يوحد زيهم ، ويكون السروال ساترًا لنصف الساق ، وكذا الكشاف مع إيجاد شعار خاص بالكشافة الاسلامية .

كل ذلك حذرًا من قول الرسول ﷺ : «من تشبه بقوم فهو منهم» .

الباب الثامن : في المجلس الصحي .

يتكون في كل مدينة أو مجموعة القرى المتجاورة ادارة صحية يكون رئيسها نائبًا عن مدير الصحة العام الذي هو نائب عن وزير الصحة في مجلس الدولة ، وتكون مهمتها الإشراف على الأطباء والممرضين والمرضى والعلاج وكل شأن يتعلق بالعلاج والتمريض في المشافي والمصحات والمستوصفات .

وتبذل هذه الهيئة من العناية الطبية والصحية ما يجعل مشافي الخلافة أحسن خدمة للمرضى وأكثر عناية بهم من جميع مشافي العالم ، وذلك لما أمر به المسلمون من الإحسان والاخلاص ، ولما يتصفون به من الرفق والرأفة والرحمة ، ومما يجب أن تمتاز به مشافي الدولة أيضًا كون تمريض الرجال خاصًا بالرجال وتمريض النساء بالنساء .

الباب التاسع : في الجمعيات التعاونية :

بناء على أمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى ونهيه عن التعاون على الإثم والعدوان في قوله :

(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) [المائدة : ٢] .

وتحقيقًا لهذا المطلب السامي تتكون في كل حي من أحياء الدولة الإسلامية وعامة قراها جمعيات تعاونية حيث يقوم رجال الحي والقرية يعاونهم المجلس المدني ببناء مسجد

جامع في حيهم أو قريتهم ، يتسع لكافة أفراد الحي أو القرية ذكورًا وإناثًا ، ويختارون إمامًا لهم من أهل العلم والصلاح ، يسندون إليه أمر الصلاة بهم وجمعهم في مسجدهم مرتين في الأسبوع ذكورًا واناثًا لدراسة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تثقيفًا لهم ، وتربية لارواحهم وتقويمًا لأخلاقهم .

ومن المسجد تنبثق اللجان الاصلاحية التالية :

١ - لجنة صندوق الحي والقرية ، ومهمتها جمع الاشتراكات الشهرية من أفراد الحي أو القرية ، وحفظها في صندوق الجمعية .

٢ - لجنة رعاية الحي أو القرية ، ومهمتها : تفقد أحوال المساكين في الحي والقرية لمعرفة مريضهم ، ومحتاجهم ، وغائبهم ، وظالمهم ، ومظلومهم ، وتقديم ذلك في بيان لإمام الحي أو القرية لتقديم المساعدة الفورية التي يفرضها الإسلام بحكم الجوار والأخوة الإسلامية .

٣ - لجنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ويتكون أفرادها من رجل الحسبة في الحي ، والذي تعينه ادارة الحسبة العامة في المدينة ، ومن عضوين آخرين من أهل الحي ، ومهمتهما مراقبة سلوك أفراد الحي أو القرية ، ومعرفة كل من ترك معروفًا ، وهو قادر على فعله ، أو ارتكب منكرًا وهو غير مضطر إليه ، واستدعاؤه إلى لجنة التأديب في

المسجد لأخذه بطرق تأديبها الخاصة بها .

٤ – لجنة التأديب : وتتكون من إمام المسجد وعضو من رجال الحسبة ، وأمين صندوق الحي ، ومهمتهما تأديب وإصلاح كل من يخل بواجبه في المجموعة الساكنة في الحي أو القرية بتركه المعروف ، أو ارتكابه المنكر من قول أو فعل ، أو اعتقاد . وتستخدم هذه اللجنة في إصلاح الأفراد وسائل التأديب التالية :

١ – الوعظ والنصح ، إذ كان الرسول – ﷺ – يؤدب أصحابه بالقول أحيانًا ، فإن لم يُجْدِ ذلك ، انتقل الى المادة التالية .

٢ – المقاطعة بهجره التام من كل أفراد الحي حتى من أقرب قريب له ، الى أن يتوب بفعل ما ترك من المعروف أو ترك ما ارتكب من المنكر ، فإن لم تنفع هذه الوسيلة انتقل الى المادة التالية .

٣ – دفع الأمر إلى دائرة الحسبة في المدينة ، ومطالبتها باسم كافة أفراد الحي أو القرية بإصلاح الشخص ، أو نفيه من الحي أو القرية ، لأنه عضو فاسد يخشى معه سراية فساده الى أفراد الحي الصالحين .

وهكذا الحال فيما اذا ارتكب حدا من حدود الله تعالى ، فإنه يرفع الأمر فورًا الى دائرة الحسبة « المحافظة » لمحاكمته

وإقامة الحد عليه بإذن والي إمام المسلمين في المدينة أو الإقليم .

وبعد قراءتنا لهذا النظام ازددنا اعجابًا بهذه الدولة ، وقلنا : إن وراء هذا التوفيق المنقطع النظير سرًا من الأسرار ، وليس بعيدا أن يكون هذا السر هو صدق ايمان هذه الأمة ، وصحة يقينها ، والا فما أكثر الحكومات التي تنتسب الى الإيمان وتدَّعيه ، وأين هذه من تلك ؟

وما كان منا إلا أن خرجنا من مكتب المحافظ مودعين من به ، وغير مخفين اعجابنا مما رأينا ، ولا استحساننا لما شاهدنا من نظام مدهش عجيب .

وعدنا إلى المنزل ، والرغبة تلح في نفوسنا على مواصلة الزيارات لكل المرافق والمؤسسات في هذه الدولة الإسلامية التي نزداد كل يوم اعجاباً بها وتقديرًا لها .

وقلت لصاحبي : بما أننا زرنا المحافظة لم لا نزور الولاية ، وقد كان المفروض أن نزورها قبل زيارة المحافظة . فقال لي : الرأي ما تراه ، فقلت : اذًا غدًا إن شاء الله نزور الولاية بإذن الله تعالى فقال صاحبي : وليكن ذلك .

وما أن أصبحنا وطلعت شمس النهار علينا حتى قلت لصاحبي : هيا بنا ننفذ ما عزمنا عليه من زيارة الولاية . فقال صاحبي : على بركة الله ومشينا .

الولاية :

وفي طريقنا عرَّجنا على أحد باعة اللبن ، فسلمنا عليه فرد السلام واستبعناه كوبَيْ لبن فباعنا . فشربنا وكان صاحبي قد تناول الكوب بشماله وشرب ، ونسيت أنا أن أذكر اسم الله تعالى عند شربي ، وأعطينا البائع الثمن ، فقبضه في غضب ، وقال : لا بركة في دراهمكما أيها الرجلان ، فقلت : لم يا شيخ؟ فقال : أما أنت فإنك شربت ، ولم تذكر اسم الله عند شربك ، وأما صاحبك ، فإنه تناول الكوب بشماله ، واردف قائلاً : فمن أي بلاد أنتما ؟

قلنا من بلاد إسلامية هي كذا .. فقال : لا كلا ، فكيف تكونان من بلد إسلامي وتجهلان أبسط السنن؟ فقلنا : اننا لا نجهلها أيها الشيخ ، إننا نعلم أن النبي ﷺ أمرنا بالأكل باليمين ، كما أمرنا بالتسمية عند الاكل والشرب . فقال لغلام معه : سم الله يا غلام ، وكل بيمينك ، ولا تأكل بشمالك ، فإن الشيطان يأكل بشماله .

وهنا قال الشيخ : وهذه أعظم ، أتعلمان أمر رسول الله ﷺ وتتركانه استخفافًا به وعدم مبالاة ، إن هذه لأخت الردة ، والعياذ بالله ، فما دعاكما أيها الرجلان؟!؟ فقلنا : لا تثرب عليها ايها الشيخ ، ولا تعتب ، انه قد مضى على بلادنا زمن طويل ، وأحكام الله فيها معطلة ، وشرائعه مضيعة حتى

درست بيننا سنن الهدى ، وعفت آثار الآداب الاسلامية في بلادنا .

ولو قدر لك أيها الشيخ الصالح أن تزور بلادنا لرأيت كيف هجرت المساجد وعمرت المقاهي ، وترك سماع القرآن لسماع الالحان ، ورغب عن طلب علم الكتاب والسنة الى طلب علم الجغرافية والحساب ، وكيف ترجل النساء ، وتخنث الرجال ، واستبدل بحكم الله ورسوله حكم اعداء الله ورسوله ، وكيف أصبح زعماء البلاد ومفكروها والمسيرون للامور فيها أصبح همهم الوحيد أن تصبح الامة المسلمة بينهم أمة كافرة ، ويعدون هذا خدمة للامة وصدقًا في الوطنية ، ويحسبون كل مرحلة يقطعونها في هذا المضمار – مضمار التكفير – انتصارًا وكسبًا جديدًا . ونسوا أو تناسوا أن كل ما في الأمر أنهم يمسخون الأمة المؤمنة لتصبح أمة كافرة ، إن هذا ما قد عجز عنه الكافر الذي استعمر بلادنا زمنًا طويلاً ، ولم يقدر عليه قد قام به اخواننا وعقدوا العزم على تحقيقه . وقد قطعوا فيه مع الأسف شوطًا بعيدًا . إنك أيها الشيخ لو دخلت بلادنا لم تستطع أن تفرق بين امتنا واخواننا ، وبين أمة الكفر واخوان الضلال ، لا في المظهر ، ولا في المخبر .

وهنا لاحظنا أن الشيخ قد اغرورقت بالدموع عيناه وبكى فبكينا معه وقال : معذرة معذرة يا بني . ورفع يديه الى السماء ودعا طويلاً ، وقال : اللهم فرج عن أخواننا كربهم ، ولا

تبتلنا بما ابتليتهم إنك ربنا وربهم .

وهنا شكرنا للشيخ - بائع اللبن - عواطفه ورحمة قلبه ، وانصرفنا مواصلين سيرنا الى دار الولاية ، فوصلنا اليها ، واذا هي بناية ضخمة على بابها حارس من الأشاوس . تقدمنا اليه وسألناه عن وجود الوالي بها ، فأجابنا بنعم فطلبنا منه أن يخبر الوالي برغبتنا في زيارته ، ففعل وخرج وهو يقول : ادخلا فقد أذن لكما ، فدخلنا ، وإذ بالوالي بباب غرفته قائمًا ينتظرنا .

فسلمنا عليه فرد السلام بأحسن ، واستجلسنا بجواره فجلسنا ، وسألنا عن حاجتنا فأخبرناه بها ، وهي رغبتنا في معرفة نظام الولايات في هذه الدولة الاسلامية العظيمة فقال : لا أحسب أن حديثي يفي لكما بغرضكما ، ولذا فاني أقدم لكما نظام الولايات عندنا مكتوبا في كتيب صغير فتقرآنه فتعرفان كل ما أردتما معرفته في هذا الخصوص فقلنا : الرأي ما ترى يا سعادة الوالي ، وتفضل بإعطاء الكتاب ، فقال : حبًا وكرامة ، ونادى : سعيد . سعيد بن عمرو ، فأجاب المنادى قائلاً : لبيك ، وحضر فقال له : ابغني نسختين من نظام الولايات ، فدخل الرجل مكتبًا مجاورًا ، وخرج والنسختان بيده . فأمره الوالي بإعطاء كل منا نسخة ففعل . فتسلمنا النسختين ، وشكرنا الوالي على جميله .

وانتحينا كعادتنا في مثل هذه الحال ناحية من غرفة الوالي

لنقرأ الكتاب حتى نرده بعد فراغنا من قراءته .

وتصفحنا الكتاب ، وإذا هو عبارة عن خمس صفحات وضعت في غلاف سميك جميل ومحتواه بعد الديباجة ، والتي هي :

حمداً لله تعالى ، والثناء عليه ، والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله وصحبه :

يشتمل هذا النظام على بابين : الأول في الولاة وصفاتهم وطريقة توليتهم . وفيه أربعة فصول . والثاني : في كيفية حكم وادارة اقاليم الدولة وفيه فصلان .

وهذا تفصيل ذلك .

الباب الأول

الفصل الأول : شروط الولاية :

كل ولاية في الدولة سواء كانت قضاء ، أو وزارة ، أو ولاية ، أو أمارة ، أو نظارة ، أو إدارة لا يجوز أن تسند لأي من الناس إلا إذا توفرت فيه الشروط التالية :

١ – الإيمان والتقوى : لقوله تعالى : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) [الحجرات :١٣] المذكورة ، الا في حال الضرورة القصوى ، وعلى شرط أن تعمل الدولة على إنهاء

هذه الضرورة في أقرب وقت بإعداد كفء لهذا المنصب .

٢ – أن يكون ذا أهلية بالعلم والمعرفة في شأن ما يسند اليه من منصب ، وذلك لقول الرسول ﷺ : «إذا وسد الأمر إلى غير أهله ، فانتظر الساعة» .

٣ – أن لا يكون المرشح للمنصب قد طلبه ، أو سعى للحصول عليه بأي سعي كان ، لقول الرسول ﷺ : «إنا لا نولِّي هذا العمل أحدًا سأله ، أو حرص عليه» .

الفصل الثاني : في كيفية تعيين الولاة وغيرهم :

تسند المناصب الهامة في الدولة كالقضاء ، والوزارة ، والولاية ، والإمارة ، والقيادة والنظارة بأحد أمرين :

أولهما : اختيار الدولة للشخص الذي تريد إسناد المنصب إليه ، وذلك بعد البحث والاستقصاء في التعرف الى أمانته وكفايته ، اذ بهذه الطريقة كان النبي – ﷺ – والراشدون من بعده يعينون الأمراء والولاة والعمال .

ثانيهما : ترشيح أهل الإقليم أو المنطقة أو المدينة أو القرية لشخص منهم ، يكون قد توفرت فيه شروط المنصب الذي يراد إسناده له من أمانة وكفاية ، وهي العلم والقدرة .

الفصل الثالث : في مساواة الولاة لغيرهم من المواطنين :

يجب أن لا يتميز ذو المنصب في الدولة على غيره من المواطنين في باب الحقوق والواجبات بحال من الأحوال. ولو كان إمام المسلمين نفسه ، وذلك لأن المسلمين سواسية تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد واحدة على سواهم كما جاء في الحديث الصحيح . فليس لذي المنصب مهما شرف منصبه أن يكون أفضل من مواطن مسلم ، أو ينتهك حرمته ، أو يسبه أو يضربه ، أو يأخذ ماله بغير حق واجب .

وإذا ما ثبت أن ذا منصب اعتدى على مواطن بأي وجه من الاعتداء ، فإن للمواطن المعتدى عليه الحق في أن يقيم على المعتدي دعوى في المحكمة ، ويحاكمه ، وعلى القاضي أن ينصفه منه ، ويعطيه حقه كاملاً ، ولو كان المعتدي إمام المسلمين أو أحد وزرائه ، ورجال حكمه . إذ ليس هناك من هو أفضل ولا أكرم من رسول الله ﷺ ، وقد قال : « من أخذت له ماله ، فهذا مالي ، فليأخذ منه ، ومن ضربت له ظهراً ، فهذا ظهري ، فليقتد منه » .

وعلي بن أبي طالب –وكان إمامًا للمسلمين – قاضاه يهودي إلى قاضيه شريح ، فأجلسه القاضي أمامه إلى جنب خصمه اليهودي ، وهو إمام المسلمين وحكم بينهما .

وفاطمة بنت محمد سيدة نساء الدنيا قال فيها رسول الله ﷺ : «والله لو سَرَقتْ لقطعت يدها» .

الفصل الرابع : في حق المواطنين في النصح والتوجيه :

من حق كل مواطن في الدولة شاهد حيفًا أو إهمالاً أو سوء تصرف من صاحب منصب من مناصب الدولة : إمام المسلمين أو من دونه من الولاة والأمراء والعمال أن يذكِّره وينصحه ، ويعظه ، ويوجهه بالكلام الطيب ، والقول المعروف في أدب واحترام ، وذلك لقول الرسول ﷺ : «وإن تناصحوا من ولاة الله أمركم ، وعلى كل من نصح ان يقتبل النصح ، ويشكر عليه» .

فقد قيل يوما لعمر بن الخطاب وهو إمام للمسلمين : اتق الله فينا يا عمر ، فأجابه عمر قائلا : لا خير فيكم إذا لم تقولوها لنا ، ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم . وقال عثمان ابن عفان رضي الله عنه ، وهو إمام للمسلمين : إن وجدتم في القرآن أن تضعوا رجلي في القيد فضعوها في القيد .

وقال أبو بكر الصديق وهو إمام للمسلمين : أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم : إن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوِّموني .

غير أنه لا يجوز توجيه النصح والارشاد بعبارات تدل

صراحة على الإهانة والتحقير ، وعدم الاحترام لولاة المسلمين ، إذ الواجب على كل مواطن احترام ولاة الأمور وتوقيرهم ، لقول الرسول ﷺ : «إن من إجلال الله تعالى اكرامَ ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المسقط» .

الباب الثاني

الفصل الأول : في تعيين نائب لإمام المسلمين :

يعين إمـام المسلمين نائبًا له ، يتولّى حكـم وإدارة الاقليم التابع للدولة ، يسمى والي الإقليم على أن تتوفر فيه غالب الشروط المطلوبة لإمام المسلمين نفسه من الإيمان ، والعلم والتقوى والأمانة والشجاعة .

الفصل الثاني : في مجلس إدارة الاقليم :

على نائب إمام المسلمين إذا حـل في الإقليم الذي ولي فيه أن يكون له بالتزكية مجلس اقليمي ، يختار له أعضاءه من رجالات الإقليم وغيرهم إن دعت الحاجة إلى ذلك ، يختارهم من أهل التقوى والكفاية بحيث يكون المجلس صورة مصغرة من مجلس الدولة الأعلى ، فيضم أصحاب الخبرات والقدرات من أهل العلم والحرب والاقتصاد والصناعة .

ويتخذ الوالي من هذا المجلس سندا له وعدَّة يدير بها الإقليم الذي تحت ولايته ، فيستشير أعضاءه ، ويأخذ بصائب رأي أكثريتهم . كما يسند إلى كل عضو منهم إدارة مصلحة من مصالح الدولة في الإقليم ، فمن الفقهاء يتخذ مديرًا للقضاة ومن العلماء يتخذ مديرًا للتعليم ، ومن الحربيين يتخذ مديرًا للأمن وهكذا .. فيجعل كل ذي اختصاص مديرًا عامًا في مصلحة اختصاصه ، ويربط جميع تصرفاتهم به ، فلا يبت أحدهم في أمر يتعلق بمصلحة إلا بعد عرضه على المجلس ومناقشته والموافقة عليه ، وبعدها يرفع إلى مجلس الدولة الاعلى للتصديق عليه وإقراره .

ويلاحظ هنا أنه إذا رأى أي وزير من وزراء الدولة رأيًا فيما يتعلق بمهام وزارته ، فإنه يعرضه على مجلس الدولة الأعلى للنظر فيه وإقراره أو رفضه ، وإذا حاز الموافقة أمضاه إمام المسلمين ، وبعث به الوزير إلى كافة مديري شؤون وزارته في سائر أقاليم الدولةومناطقها لتنفيذه والعمل به .

وبعد فراغنا من قراءة الكتاب الحاوي لنظام الولايات ، قلت لصاحبي : كيف وجدت نظام الدولة الإسلامية في تعيين الولاة ، وكيفية إدارتهم لولايات الدولة في أقاليمها المختلفة ؟ ؟

فقال لي في اندهاش وإكبار : وجدته خير ما يمكن أن يكون نظامًا على وجه الأرض ، ولا يبعد أن يكون سر هذا

النجاح هو توفيق الله تعالى لعباده الصالحين ، الذين أخبر أنهم يرثون الارض في قوله : ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ [الأنبياء : ١٠٥] .

وأردف صاحبي قائلاً : إنه لما استقامت هذه الأمة على منهج الله الذي هو الإسلام ، منحها الله تعالى توفيقه ، فهي لا تخطو خطوة إلا سددها فيها ، ولا تقوم بعمل إلا أنجحها فيه . فقلت له : إذًا عرفنا سبب إخفاق حكوماتنا وفشلها وخيبتها وخسرانها ؟ قال : نعم إنه الحرمان من التوفيق الإلهي ، وإلا فكم نراهم يبذلون من جهود مضنية ، ويقدمون من التضحيات الجسام لرفعة أممنا وشعوبنا وإسعادهم ، ولم تكن النتائج دائمًا إلا أصفارًا على الشمال ... وقاطعت صاحبي قائلاً : فهل تعرف لهذا الحرمان من التوفيق سببًا ؟ فقال : نعم وبدون شك ، إنه الإعراض عن ذكر الله تعالى وهداه ، وهما كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ولا أرى من سبب سوى هذا . فقلت له : أنت متأكد مما تقول ؟ قال : نعم إني متأكد مما أقول ، إنه لم يحرم المسلمين في غير هذا البلد من توفيق الله ربهم إلا إعراضهم عن ذكره وتركهم لهداه ، ومصداق ذلك قوله تعالى : ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكى ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ [طه : ١٢٣] .

فقلت له : إذًا أرأيت لو يرجع المسلمون إلى الإسلام الصحيح فيحكِّمون شرائعه في كل شؤون حياتهم ، فهل يرجع الله إليهم بهدايته وتوفيقه ، ونصره وتأييده؟ قال : نعم وبدون شك ، وما المانع؟ والله تعالى يقول : (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) [النحل : ١٢٨] ويقول : (وكان حقًا علينا نصر المؤمنين) [الروم ٤٧] ويقول : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا) [النور ٥٥] .

وهنا سألت صاحبي قائلا : هل اقتنع أخي أن دولة تقوم على تلك الأسس التي سبق ان وقفت عليها وعرفت ، لا تكون الا خير دولة عرفها التاريخ البشري على وجه الأرض؟ قال : نعم ، وكيف لا ، وقد رأيتها بعيني ، ولمستها بيدي ومشيت فيها برجلي ، وها أنا أقضي فيها هذه الأيام برفقتك ، ولا أحب إلي من أن تطول إقامتي فيها حتى أمتع نفسي بكل ما فيها من كمال وجمال ، وسعادة وحسن حال . فقلت له : اذًا أنت مستعد الآن لمواصلة التجوال معي في هذه الدولة التي عظمت وكبرت؟ قال : نعم ، وامش بنا إلى حيث شئت فقلت : إني أرغب في زيارة وزارة الخارجية لهذه الدولة لنعرف نظامها

الخارجي ، وكيف علاقاتها بالدول الأخرى ، وعلى أي أساس تقيم علاقاتها مع غيرها من دول العالم .

فقال صاحبي : الأمر سهل ، فلنذهب الى مقر الوزارة وسوف يمدوننا بنظام مكتوب كما حصل لنا في سائر الدوائر التي زرناها ، وسوف تعرف ما رغبت يا صاحبي في معرفته ، وبكل يسر وسهولة . فهيا بنا الى مقر الوزارة .

وزارة الخارجية :

واستوقفنا سيارة أجرة فوقفت فركبناها . ولما سارت قليلاً ، قال سائقها : أيها الإخوان لعل أتعاب الغربة أنستكما آداب الركوب ، واندهشنا لقوله ، وقلنا : ما هي آداب الركوب ؟ فقال : أن يقول المرء عند وضعه رجله على السيارة : بسم الله ، والحمد لله ، حتى إذا استوى جالسًا قال : سبحان الله الذي سخر لنا هذا وما كنا مقرنين ، وإنا الى ربنا لمنقلبون ، إذ بهذا أمر الله تعالى عباده المؤمنين في قوله من سورة الزخرف من كتابه الكريم : (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ، ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه ، وتقولوا : سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وانا إلى ربنا لمنقلبون) [الزخرف : ١٢ ، ١٣ ، ١٤] .

فقلنا معتذرين : اننا لم نتربَّ على هذه الآداب في بلادنا

أيها الأخ ، ولم نعرفها فقال : سبحان الله ، ماذا تعرفون في حياتكم ؟ وكأنما شعر بتحرجنا ، فأعرض عن الموضوع ، وسألنا قائلاً : إلى أين تريدان الذهاب ؟ فقلنا : إلى مقر وزارة الخارجية . فقال : على بركة الله تعالى ، ودفع السيارة فما هي إلا دقائق ، فإذا ونحن بباب المبنى ، فاستنزلنا فنزلنا ، ودفعنا اليه الأجرة فأباها ، وسلم علينا ، وانصرف . فقلت لصاحبي : يا للعجب في هذا البلد ، وهذه الامة ..

سائق سيارة أجرة يعيش على هذا الكمال البشري .. ينكر علينا جهلنا بآداب الركوب ، ويطايبنا حتى يذهب الألم من نفوسنا ، ويركبنا مجانًا مراعاة لغربتنا ، ويحيينا وينصرف في لطف وظرف .

أين هذا السائق من سائقي السيارات في بلادنا ؟ أولئك الذين اذا تعطلت سيارة أحدهم لخلل في جهازها لم يترك كلمة سوء الا قالها ، ولا كلمة كفر الا نطق بها ، وإذا قيل له في ذلك ، يقول في وقاحة : إنا اذا لم نكفر عليها لا تمشي .. انظر .. انظر الى الفرق يا صاحبي ، إنه فرق أمة تعيش على الحكم الإسلامي ، والنظام الاسلامي ، والحياة الإسلامية ، وأخرى تعيش على حكم الطاغوت ، وحياة الفسوق والفجور . آه ثم آه .. الى متى وأمتنا في هذا الظلام الحالك ؟ ؟ .

وهنا قال لي صاحبي والبكاء يخنقه : هوِّن على نفسك

يا أخي إن لله قضاءً في خلقه سوف ينفذه ، وإن مع العسر يسرًا ، ولعل أيام المحنة قد آذنت بالذهاب ، وأيام النعمة قد وقفت على الأبواب ...

فقلت : لعل وعسى . واستأذنا في الدخول على وزير الخارجية ، فأذن لنا ، ودخلنا فسلمنا ورد علينا بأحسن . وسألنا عن حاجتنا فبيناها ، والتمسنا قضاءها ، وكانت حصولنا على مكتوب يحوي الأنظمة الخارجية للدولة الإسلامية ، وقدم لنا ذلك ، وكان عبارة عن لائحة صغيرة ذات ثلاثة بنود :

البند الأول : في بيان الغرض الذي من أجله تفتح الدولة الإسلامية سفارات لها في دول أجنبية :

لا تفتح الدولة الإسلامية سفارة لها في دولة أخرى إلا لغرض سليم يحقق منفعة للدولة ، وذلك كأن يكون هناك رعايا مسلمون ، أو يكون هناك علاقات تجارية أو ثقافية ، تستلزم وجود ممثل للدولة الإسلامية في تلك البلاد .

وأهم من هذا وذاك ان تفتح السفارة من أجل التوصل بها الى نشر الدعوة الإسلامية ، والقيام بواجب إبلاغ دعوة الإسلام إلى سكان تلك البلاد ، فهذا أسمى غرض وأنبله تفتح من أجله السفارات الإسلامية في دول أجنبية ، وتتحمل خزانة الدولة من أجله باهظ التكاليف والنفقات .

البند الثاني : في بعض الأنظمة الخاصة بالسفارات .

ينبغي أن يراعى في شأن السفارات التعاليم التالية وأن تطبق في ذلك تطبيقاً كاملاً وبكل دقة . وتلك التعاليم هي :

١ – عدم فتح أية سفارة ، أو ممثلية للدول الإسلامية ، وفي أية دولة الا لتحقيق الاغراض المذكورة في البند الأول من هذا النظام ، وذلك من أجل الحفاظ على أموال الدولة وحتى لا تنفق في غير طائل ، وذلك حرام .

٢ – وجوب الاكتفاء بأقل ما يمكن من أعضاء في السفارة ، وذلك كالسفير وكاتبه ، وهو نائبه ، وخادم ، ورجل الدعوة ، وعضوان معه . وحارس لا غير . وذلك من أجل تقليل النفقات .

٣ – وجوب تقيد أعضاء السفارة أو الممثلية بالزي الإسلامي الكامل ، ليكون مظهرهم موافقاً لمخبرهم ، ودالاً على إسلامهم ، ومميزاتهم عن غيرهم . وعليه فلا يسمح لأي عضو في السفارة أن يتزيا بغير الزي الإسلامي ، كيفما كانت الاعتبارات ، وذلك لما في الزي الخاص من لفت النظر ، واسترعاء الأنتباه الى الإسلام .

٤ – تعيين مراقب خاص للسفارات ينتقل بينها ، ويراقب أعضائها ، ويلاحظ سلوك كل فرد منهم ، وايما فرد يخل بهذه النظم الخاصة ، أو ينحرف أي انحراف في

خلقه أو دينه يجب تأديبه وإبعاده ، كل ذلك للإبقاء على الوجه المشرق للدعوة الاسلامية متمثلاً في أفرادها القائمين بها والساهرين عليها .

البند الثالث : في كون السفارة مركزًا للدعوة الإسلامية:

يجب أن يضم مبنى السفارة في كل بلد أجنبي حجرة واسعة كبيرة لتتخذ مسجدًا يؤذن على سطحها ، وتقام الصلوات الخمس فيها .

فعندما يدخل وقت الصلاة يؤذن المؤذن بأعلى صوته ، ويصلي أعضاء السفارة ومن وجد من المسلمين معهم ، يؤمهم فيها رجل الدعوة في السفارة والمخصص لها وليتخذ من هذا المسجد الصغير دار النشر للدعوة الإسلامية وتبليغها في تلك البلاد ، ففي هذا المسجد الصغير يجلس أعضاء الدعوة يعرِّفون بالإسلام كل من يريد معرفته ، ويعلمون مبادئه وشرائعه كل من يريد أن يتعلمها . ومن هذا المسجد توزع الكتب والرسائل والنشرات الإسلامية . وفي هذا المسجد يتم التلاقي ، وتحصل الاجتماعات مع كل فرد يريد الإسلام أوالتعرف عليه .

وأخيرا فبهذا يمكن أن يسقط واجب الدعوةالى الاسلام المتعلق بكل فرد مسلم قادر ، وخاصة الدولة الإسلامية ورجالها .

فقرأنا هذه اللائحة المتضمنة لبعض الأنظمة الخارجية للدولة الإسلامية ، فزاد ما قرأناه في إعجابنا بهذه الدولة

وإكبارنا لها ، كما أذكى نار الحزن والألم في نفوسنا ، اذ ذكرنا بما عليه خارجيات دولنا التي تزعم الإسلام ، والإسلام لا يقر بذلك ، إذ لم تكن تمثله في قليل ولا كثير . فلم يكن هناك فرق بين نظام خارجية أية دولة من دولنا وبين نظام دولة أخرى من دول الكفر أبدًا ، وإن كان هناك فرق ففي الإسراف والإتلاف والهون والدون .

سلمنا تلك اللائحة لأحد موظفي مكتب الوزير ، وودعنا شاكرين وانصرفنا عائدين الى منزلنافوصلناه ، وقد أرهقنا تعب نفسي شديد ، فقضينا يومنا نتردد بين المنزل والمسجد حتى آوانا المبيت فبتنا ، ولما تنفس الصباح ، وصلينا بالمسجد الغداة طرق آذاننا صوت اعلان بوفاة ، وكان المتوفي أحد القضاة ، ويشيع جثمانه من المستشفى الى مثواه بمقبرة المعلاة ، وقلنا : هذه فرصة أخرى قد أتاحها الله لنا لنزور أهم ما يزار في هذه الحياة .

المستشفى :

ووصلنا قبيل جماهير المشيعين واتصلنا بأحد الموظفين ، وسألناه قائلين : هل بين أطباء هذا المستشفى طبيبات ، وهل بين ممرضيه ممرضات ؟ فقال : نعم ، ولكن الاطباء والممرضين مختصون بمعالجة الرجال ، والطبيبات والممرضات

مختصات بمعالجة النساء ، وقلما تدعو الحاجة الى أن يعالج الطبيب امرأة في هذا المستشفى ، ولا تدعو الحاجة أبدًا إلى أن تعالج المرأة الرجل ؛ أما التمريض فلا يمرض الرجل المرأة ، ولا المرأة الرجل البتة ، واردف قائلا : هذا في أيام السلم ، وأما في أيام الحرب ، فقد تدعو الحاجة الى أن يمرض ويعالج النساء الرجال ، ولا حرج .

وتعرف هذه بحالة الضرورة ، وتقدر بقدرها ، ولا يقاس عليها . وهنا قلنا له : هل لك أن تطوف بنا في أروقة المستشفى ؟ فقال : نعم وطاف بنا كل أروقة المستشفى ، ووجدنا ما أخبرنا به حقا ، فلم نر في الجناح الخاص بالرجال من نساء ولا طبيبات ولا ممرضات ، ولا بالجناح الخاص بالنساء من رجال ممرضين ولا أطباء ، وما زلنا نطوف باقسام المستشفى حتى وصل مشيعو الجنازة ، وسلمت إليهم فابتدروها ، وعلى الأعناق حملوها ، وسار موكبها في صمت رهيب إلى المثوى الأخير .

المقبرة :

وأتوا بها على ساحة كبيرة قريبة من المقبرة ، ولكنها لا تتصل بها ، فوضعت ، وتقدم أحد أوليائها للصلاة عليها ، فصلى وصلى الناس وراءه صلاة الجنازة المعروفة ، وحملت مرة أخرى في صمت الى أن وضعت على شفير القبر ، ووقف

الرجال حولها ، وتولى أحدهم وضعها في قبرها ، وأهالوا التراب عليها فواروها ، وما إن فرغوا حتى قال قائل منهم : سلوا لأخيكم الثبات ، فإنه الآن يسأل ، فدعوا للميت وسألوا له التثبيت والمغفرة والرحمة ، وانصرفوا ، واثناء انصرافهم كانوا يقدمون لذوي الهالك تعازيهم فيقول الرجل لأخيه : أعظم الله أجرك واحسن عزاك ، وغفر لميتك ، فيرد الآخر عليه قائلاً : لا أراك الله مكروها في عزيز لديك. وعاد كل مشيع الى أهله أو محل عمله ، وتعجبنا مما رأينا ، وقلنا : سبحان الله ! ! جنازة قاض تشيع وتدفن بهذه البساطة ! !

ان وراء هذا سرًا ولا شك. فلنسأل عنه ، ولكن من نسأل؟ واتفقنا أن نسأل إمام المسجد ، فإنه أجدر بإجابتنا وأحرى بها ! ! وحانت صلاة الظهر ، ودخلنا المسجد مع أفواج الداخلين ، وصلينا مع المصلين ، وقضيت الصلاة ، ودخل الإمام مقصورته كعادته ، واتبعناه ودخلنا معه ، وقلنا بعد تحيتنا له ، وسلامنا عليه : يا شيخنا المحترم ، لقد قدر لنا اليوم أن نحضر تشييع جنازة في هذا البلد ، فشيعناها مع المشيعين لها من مستشفى كانت به ، الى قبرها الذي توارت فيه ، وقد فقدنا معها الكثير مما كنا نعرفه للجنائز في بلادنا. اننا لم نر باقات الزهور التي كنا نراها تتبع الجنازة ، وتوضع على القبور. كما اننا لم نرعلم الدولة ، وقد كنا نراه يوضع

على سرير الميت ان كان من رجالها : أو المسؤولين فيهـا كما لم نسمع أصوات الموسيقى التي كنا نسمعهـا عند تشييع جنازة كبير من كبراء الدولة ، أو عظيم من عظمائها .

وافتقدنا ايضاً ما هو دون ذلك من الهيللة ، وقراءة البردة والهمزية عند التشييع ، وقراءة القرآن أثناء الدفن وبعده بأصوات مختلطة عالية مرتفعة . الامر الذي أدهشنـا وأحدث تساؤلات كثيرة في نفوسنا ، وخاصة ما رأينا من تسوية القبور بالارض وعدم رفعها بزخرفتها والبناء عليها .

فهل لشيخنا الكريم أن يكشف لنا عن سر ذلك ، ويريح نفوسنا مما أهمنا وسوف لا نقصر في شكره ، وحسن الثناء عليه ؟ ؟

فقال الشيخ : نعم واجعلا شكري والثناء علي شكرا لله وثناءً عليه ، فإنه أحق بذلك مني ، وأولى به . واليكما بيان ما طلبتما أيها الرجال .

١ – ان اتباع الجنائز بالموسيقى ، ولفها في علم الدولة ، ووضع باقات الزهور عليها ، وعلى القبور ، كل هذا من عمـل الكافرين وليس من سنن المسلمين ، ولذا فقدتموه في جنازة رجل من هذا البلد المسلم .

٢ – رفع الأصوات بالتهليل ، وقراءة البردة والهمزية ، والصلاة والسلام على خير البرية أثناء حمل الجنازة ، وتشييعها

إلى المقبرة ، كل هذا وإن فعلتموه باسم الدين متوسلين به في زعمكم إلى ربكم ليرحم ميتكم ، فإنه بدعة ليست من سنن الإسلام في شيء .

٣ - عدم قراءة القرآن على القبور ، وتسويتها بالارض ، وعدم تفاضلها بزخرفتها والبناء عليها ، كل هذا من سنن الإسلام غير أنكم لما ألفتم خلافه في بلادكم اندهشتم ، وتعجبتم ، والا فإن كل من درس شيئًا من سيرة الرسول ﷺ وسيرة أصحابه ، عرف أن قراءة القرآن على القبور ، لم تكن معروفة عند اصحاب الرسول ﷺ كما أن نصوص السنة متواترة في تحريم البناء على القبور وتجصيصها وضرب القباب على قبور الصالحين منها .

وانما ضعف إيمان قومكم ، فأصبحوا عاجزين عن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ حتى في ترك محرم فضلا عن القيام بواجب يتطلب جهدًا ومالاً ، وإن مرد ذلك كله الى ضعف الايمان وعدم الصدق فيه .

وهنا قاطعت الشيخ قائلاً : هل ترى أن قومنا غير مؤمنين أيها الشيخ ؟ فأجاب قائلاً : معاذ الله أن أقول : إنكم غير مؤمنين . فقلنا له : إذا كنا مؤمنين مثلكم ، فلم نهض إيمانكم بكم هذا النهوض ، فارتفعتم الى هذا المستوى من الكمـال في الدين والدنيا معا ، ولم ينهض بنا

ايماننا فقعدنا عن كل كمال ، وتورطنا في كل ضعف وفساد ؟

ورد الشيخ علينا قائلاً : أننا متفقون في أصـل الايمان ، ولكننا مختلفون في كماله ، والإيمان كالطاقة الدافعة المحركة ، فإذا قوي في النفس دفع إلى العمل الصالح ، وحرك إلى ترك المحارم واجتناب المفاسد ، وإذا ضعف قصر عن ذلك ، وقد قلت لكما آنفا : إن مرد العجز عن القيام بالواجبات ، وترك المحرمات هو ضعف الإيمان وعدم الصدق فيه ، فضعف إيمان امتكم ، وقوي إيمان أمتنا ، فكـان الفرق الذي رأيتما ولمستما . واليكما بيان ذلك وتوضيحه :

ان امتنا لما آمنت بالله ربًا يرحم ويعذب ، وإلهاً يطاع ويعبد ، صدقت في ايمانها ، فأخذت نفسها بطاعتـه ، والتسليم له . فلم تشك في علمه وحكمته ، ولا في عدله ورحمته ، كما لم تشك في قوته وقدرته ، فسلمت الامر كله له ، ولم يصبح لها معه هوى ولا رأي ، فصدقت أخباره ، ونفذت احكامه ، واطاعته في أوامره ونواهيه ، وأحبته تعالى ، وأحبت فيه ، وأحبت كل ما يحب ، وكرهت كل ما يكره ، واصبح الله تعالى غايتها التي لا غاية لها بعدها في هذه الحياة ، فكـان كل تفكيرها فيما يرضيه ، وكل همها محصورًا فيما يقربها منه ، ويزلفها اليه ، ووفرت كل طاقتها لتحقيق طاعته والإيمان به ، والصدق فيه .

وعلى خلاف هذا أمتكم أيها الرجلان ، فإنها وإن آمنت بالله ربًا وإلٰهًا ، فإنها لم تعظمه ولم تطعه ، كما يجب أن يعظم ويطاع . بل فرغ قلب أمتكم من كل حب لله وتعظيم له ، فلم تسلم وجهها لله ، ولم تتوكل عليه . وكان نتيجة لفقد ذلك ان ارتابت في أخباره ، وشكت في عدالته ، فلم تحكم شرعه ، ولم تذعن لامره ولا لنهيه ، فتركت كثيرًا من الفرائض والواجبات ، وارتكبت كثيرًا من المحرمات والمنهيات . فقست بذلك قلوبها ، وأضحت تكره لقاء ربها ، وتخاف من فراق الحياة ، وأمست ولا هم لها الا ما يحقق شهوات بطونها وفروجها ، فانقطعت عن السير في طريق الكمال ، واسرعت في سبيل الضلال فضلت وتاهت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ثم التفت الشيخ الينا ، وقال وهو في غاية الانفعال : إنكم يا إخواننا لم تصدُقوا في إيمانكم ، وها أنا ذا أضرب لكم مثلا ، وهو أنكم محكمون بحكومات على رأسها ما تسمونهم بالملوك والرؤساء ، وقد آمنتم بهم حاكمين ذوي سلطة عليا ، يرحمون بها المطيعين ، ويعذبون بها العصاة المجرمين .

فهل تجيزون لأنفسكم ان تسبوهم في مجالسكم ، وتشتموهم في شوارعكم واسواقكم ؟ ؟

فهل تهملون مراسيمهم ولا تنفذونها ساعة إعلانها ووقت توقيعها وإصدارها ؟

وهل تردون عليهم أحاديثهم ، وتكذبونهم في أخبارهم ؟

وهل تعطلون أحكامهم متى قضوا بها ، وأمروا بتنفيذها ؟

وهل تسخرون من قوانينهم التي يشرعونها لكم ، ويسنونها فيكم ؟

وهل تستبدلون شرائعهم بشرائع غيرهم غير ملتفتين اليها ، ولا مبالين بها ؟

فقلنا : لا ، لا ايها الشيخ ، ولو فعلنا هذا لما انتظمت لنا دولة ، ولما كان لنا حكم ، وانقلبت حياتنا الى فوضى وهرج لا حدّ لهما .

فقال الشيخ : سبحان الله هكذا تعتقدون ؟ فقلنا : نعم ، ولا نشك في هذا أبدًا . فقال الشيخ : فكيف إذًا ينفعكم إيمانكم بالله ، وأنتم لا تجلون الله إجلالكم لحكامكم ، ولا تطيعونه طاعتكم لهم ، ولا تحترمون شرعه تعالى احترامكم لما يشرعه حكامكم ، إنكم قد جعلتم الله تعالى أهون عليكم من حكامكم ، وأقل شأنا منهم . ولولا رحمة الله بكم لمسكم بموقفكم هذا منه تعالى ومن شرائعه واحكامه عذاب عظيم .

ولما بلغ الشيخ بحديثه الى هذا الحد شعرنا بمدى ذلة أمتنا ، وعرفنا سبب شقائها . وانهارت لحديث الشيخ أعصابنا ، وخارت قوانا .

وعرف ذلك فينا . فقال مسريًا عنا ، ومخففًا من وقع كلامه فينا : إن قضاء الله عدل ، وحكمه نافذ ، فلا تأسوا ولا تحزنوا ، فعسى الله أن يتوب عليكم ويرحمكم ، فإن رحمته وسعت كل شيء . وقاطعنا حديثه قائلين : ادع الله لأمتنا – يا شيخ – يتوب عليها ويرحمها . فقال : سأفعل إن شاء الله ، وعاد إلى حديثه عن عدم صدق أمتنا في ايمانها ، فقال : ألستم تؤمنون بالملائكة ، وأن الايمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان ؟ فقلنا : بلى . فقال : فهل في أمتكم من إذا أراد ان يبصق تحاشى أن يبصق عن يمينه ، لأن الكرام الكاتبين عن يمينه ؟

هل في أمتكم من إذا أراد أن يرتكب فاحشة ، ذكر وجود الملائكة عن يمينه ، فتركها حياء منهم ؟

هل فيها من إذا تكلم تحاشى أن يتكلم بغير ما يعنيه خشية أن يكتب عليه الملائكة ما لا ينفعه يوم يلاقي ربه ، وساعة يقف بين يديه ؟

هل فيكم – يا قوم – من يترك أكل الثوم أو البصل نيئا ، أو يترك التدخين خشية أن يؤذي بالرائحة الكريهة الملائكة الكاتبين : فقلنا : لا ، في كل ذلك . فقال : وأي معنى لإيمانكم بالملائكة – إذًا – مع انعدام كل هذه المستلزمات له ؟ إنه مجرد دعوى لا حقيقة لها ولا وجود .

وألستم تؤمنون بالكتب السالفة والرسل السابقين؟ قلنا : بلى ، فقال : إن مجرد التصديق بالكتب السالفة والرسل السابقين يكفي المؤمن اليوم ، أما بالنسبة الى آخر الكتب ، وهو القرآن ، وخاتم الرسل ، وهو محمد ﷺ ، فإنه لا يكفي في ذلك مجرد التصديق أبدا .

بل لا بد للإيمان بالقرآن من قراءته ، ومعرفة أحكامه وشرائعه والأخذ بذلك وتطبيقه في كل مجالات الحياة ، كما لا بد للإيمان بالرسول محمد ﷺ من حبه وتعظيمه وتصديقه في كل أخباره ، وطاعته في كل أوامره وزواجره . وأنه لا يقدَّم على قوله قول أحد ولا رأيه ، وإلا كان الإيمان بالكتب والرسل مجرد دعوى كذلك لا حقيقة لها ولا وجود .

وحينئذ أي نفع يحصل من مثل هذا الإيمان ، وأي خير يحققه للانسان ؟

ولهذا لم يتحقق لأمتكم من الخير والكمال ما تحقق لأمتنا ، لأن أمتكم لم تحقق إيمانها بالصدق فيه ، وأمتنا آمنت وصدقت ، فكان ما شاهدتما ، لا ما سمعتما .

فالإيمانَ الإيمانَ ، يا بني ، والصدقَ الصدقَ فيه ... !

فهرس